



كُلِّيَّةُ الْأَدَابِ
قِسْمُ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

محاضرات في علم التفسير

جمع وإعداد

الدكتور / محمد علي قنديل

مُدَرِّسُ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - بِكُلِّيَّةِ الْأَدَابِ جَامِعَةِ أُسْیُوط

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير المأثور

المعنى اللغوي للتفسير المأثور:

"أثر: الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار وأُثُر. وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده وأثرتّه وتأثرتّه، تتبعت أثره... والأثر، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء. وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً، والأثر: الخبر، والجمع آثار، وقوله (عَلَيْكَ): ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾^(١) أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ونكتب آثارهم أي من سن سنة حسنة كتب له ثوابها، ومن سن سنة سيئة كتب عليه عقابها، وسنن النبي: آثاره. والأثر: مصدر قولك أثرت الحديث أثره، إذا ذكرته عن غيرك"^(٢).

من هذا النص يظهر أن معنى المأثور المأخوذ عن السلف ومن سبقنا، ومنه ما أثر عن النبي (ﷺ).

المعنى الاصطلاحي للتفسير المأثور:

"يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول (ﷺ)، وما نقل عن الصحابة - رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"^(٣).

(١) سورة يس، من الآية ١٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ج ٤/ ٥ - ٩.

(٣) التفسير والمفسرون، د/ الذهبي، ج ١/ ١٥٤.

وسوف يظهر ذلك المعنى أكثر في المبحث الآتي عند دراسة أقسام التفسير
المأثور، وقد اختلف المفسرون في التفسير الذي نقل عن التابعين، فمنهم من
عده من التفسير المأثور، ومنهم من عده من التفسير بالرأي، وسوف يظهر
ذلك في الحديث عن تفسير التابعين.

المبحث الثاني: أقسام التفسير المأثور:

"هو أحسن طريق التفسير حيث إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله (ﷺ) فهو مما فهمه من القرآن" (١).

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود .. ومنهم الحبر البحر "عبد الله بن عباس" ابن عم رسول الله (ﷺ) وترجمان القرآن" (٢).

(١) تفسير القرآن بالقرآن:

يتضح أن أحسن طرق التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، فهو أول التفسير المأثور، وهو أفضل طريق لتفسير القرآن، فما اختصر في مكان فقد فُصل في مكان آخر، وما أُجمل في موضع فقد فسر في موضع آخر من القرآن الكريم. وإن القرآن الكريم ليزخر بكثير من الأمثلة لتفسير القرآن بالقرآن، ومن هذه الأمثلة أذكر الآتي:

(١) مقدمة التفسير ابن كثير

(٢) مقدمة التفسير ابن كثير

أ- تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١).

يفسره قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢).

يقول الإمام الفخر الرازي حول تفسير هذه الآية:

"إنه تعالى لما أمره بالإنفاق نهاه عن أن ينفق كل ماله، فإن إنفاق كل المال يفضي إلى التهلكة عند الحاجة الشديدة إلى المأكل والمشروب والملبوس، فكان المراد منه ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣).

ب. تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٤) فقد فسرهما قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٥).

حيث جاء في جامع البيان "قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ على الخصوص لا على العموم، وأن معناه: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى فيه بقوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٣) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، ج ٥ / ١٤٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٥) سورة القيامة، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٦) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري، ج ٥ / ٢٩٧.

ج. تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١) فسرهُ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٢).

وهو تفسير للإمام مسروق صاحب الدراسة؛ حيث قال: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فأنزل الله ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وهو تفسير للإمام مسروق للقرآن بالقرآن^(٣)، فإن الله (ﷻ) يجعل الأفضلية لمن يعمل الصالحات ويطيعه، ويؤمن به وبوحدانيته وألوهيته، وليس الأفضلية بالأمايني سواء أمايني المسلمين أو أمايني أهل الكتاب.

(١) سورة النساء، الآية ١٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٤.

(٣) الأثر أخرجه ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم، ج ١ / ٥٥٨، ٥٩٩، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور، ج ٢ / ٣٩٨، وابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ج ٢ / ١١٦.

د. قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾^(١) فسرهما قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٢).

فقد جاء في جامع البيان: "وأما (النعم) فإنها عند العرب اسم للإبل والبقر والغنم خاصة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾"^(٣).

هـ- تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

يفسره قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

حيث يقول الإمام الشعراوي:

"أي إنهم يلوون ألسنتهم بالكلام الصادر من الله ليحرفوه عن معانيه، أو يلوون ألسنتهم عندما يريدون التعبير عن المعاني. واللي هو "الفتل" فنحن عندما نفتل حبلًا، نحاول أن نجدل بين فرعين من الخيوط، ثم نفتلهم معًا

(١) سورة المائدة، من الآية ١.

(٢) سورة النحل، الآية ٥.

(٣) تفسير جامع البيان لابن جرير، ج ٤ / ٣٨٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧٨.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٦.

لنصنع حبلاً، والهدف من القتل هو أن نصنع قوةً من شعيرات الخيوط .. إذن فالقتل المراد به الوصول إلى قوة، وهكذا نرى أنهم يلوون ألسنتهم بكلام يدعون أنه من المنهج المنزل من عند الله، وهذا الكلام ليس من المنهج ولم ينزل من عند الله .. إن الحق يوضح لنا ألا نعطي لهم فرصةً لتحريف كلام الله تعالى فهو سبحانه القائل: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

(٢) تفسير القرآن بالسنة:

ويلى تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة المطهرة، وهو ما أثر عن النبي (ﷺ) حول القرآن الكريم، وحول تفسير بعض آياته، ومن أمثلة ما جاء في السنة شارحاً للقرآن، أنه (ﷺ) فسر الظلم بالشرك^(٢) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٣)، وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)، وهذا هو

(١) تفسير الإمام الشعراوي، أعداد أخبار اليوم، العدد (٢٠)، ص ١٥٦٨، ١٥٦٩.

(٢) الخبر أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، ج ٣ / ٢٢٢، طبعة دار المنار، ١٤٢٢ هـ.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٤) سورة لقمان، من الآية ١٣.

تفسير الرسول (ﷺ) للقرآن، ولكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير^(١).

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة، تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فمن تفسير الرسول (ﷺ) لهذه الآية ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: "سألت النبي (ﷺ): أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: "أن تجعل لله نداً^(٣) وهو خلقك"^(٤).

ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَهُ﴾^(٥).

فمن تفسير النبي (ﷺ) تفسير هذه الآية بما أخرجه الإمام البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي (ﷺ) قال: "قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أي لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولداً"^(٦).

هذا عن أمثلة تفسير القرآن بسنة المصطفى (ﷺ).

(١) انظر، الرهان في علوم القرآن للزركشي، ج ٢ / ١٥٦.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٢.

(٣) نداً: أي المثل والنظير، والجمع أنداد. [انظر، لسان العرب، ج ٦ / ٤٣٨١].

(٤) صحيح البخاري، ج ٣، كتاب التفسير، ص ١٨٠.

(٥) سورة البقرة، من الآية ١١٦.

(٦) صحيح البخاري، ج ٣، كتاب التفسير، ص ١٨١.

(٣) تفسير القرآن بقول الصحابة:

لقد سبق الحديث عن تفسير القرآن بالقرآن، وتم التمثيل على ذلك من آيات الذكر الحكيم، كما سبق الحديث عن تفسير القرآن بالسنة، وذكر أمثلة على ذلك من كتب السنة الصحاح، ويعد تفسير القرآن بقول الصحابة في المرتبة الثالثة بعد التفسيرين السابقين.

أما عن الصحابة؛ فهم أقرب الناس إلى رسول الله (ﷺ)، وهم الذين نزل القرآن الكريم في عصرهم، فهم أعلم الناس به بعد رسول الله (ﷺ)، وتفسير القرآن بقول الصحابة هو: بيان القرآن بما يصح وروده عنهم - رضوان الله عليهم أجمعين - ولذلك فتفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع إلى رسول الله (ﷺ)؛ لأن معظم تفاسيرهم أخذت عن رسول الله (ﷺ)، كما أنهم شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعانوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، كذلك سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان، ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله (ﷻ).^(١)

وفيما يلي أمثلة لتفسير الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن.

(١) انظر، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ / ١٤.

أ- تفسير قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾^(١)، قال ابن عمر^(٢) في تفسير هذه الآية: "إذا أكل الكلب من صيده فاضربه فإنه ليس بمُعَلَّم"^(٣).

والآية تتحدث عن الصيد فالله (ﷻ) أحل الصيد للمسلمين، كذلك أحل لهم أن يُعَلِّمُوا ما يمتلكون من الجوارح [الكلاب الضواري والفهود والصقور] للصيد، ثم أحل لهم ما تصطاده هذه الجوارح^(٤)، وهذا الكلام مستنبط من آراء الصحابة- رضوان الله عليهم- حول الآية الكريمة؛ ولذلك فابن عمر (رضي الله عنه) يقول: "إذا أكل الكلب من صيده فاضربه، فإنه ليس بمُعَلَّم"، أي من أدلة تعلم الكلب الصيد ألا يأكل من فريسته، وإنما يجرها كما هي إلى سيده. واتفق مع رأي ابن عمر (رضي الله عنه) حَبْرُ الأمة ابن عباس (رضي الله عنه) فقال: "إن المُعَلَّم من الكلاب: أن يمسك صيده فلا يأكل منه حتى يأتيه صاحبه، فإن

(١) سورة المائدة، من الآية ٤، وتام الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

(٢) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، هاجر وهو ابن عشر سنين أسلم مع أبيه وهاجر، وعرض على النبي (ﷺ) ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذلك، ثم في الخندق فأجازه، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان، قيل عنه: ما أروع من ابن عمر، وقيل أنه أعتق نافعاً بعشرة آلاف درهم، تُؤْفَى سنة أربع وسبعين. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٣٧: ٤٠.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤ / ٣٢٢.

(٤) انظر، تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤ / ٢٧٤.

أكل من صيده قبل أن يأتيه صاحبه فلا يؤكل من صيده" ^(١)، كذلك قال ابن عباس (رضي الله عنه): "إذا أرسل الرجل الكلب فأكل من صيده فقد أفسده" ^(٢). وهذا يدل على شيئين:

أحدهما، أن الكلب المعلم هو ذلك الكلب الذي لا يأكل من فريسته.
والثاني: إذا أكل الكلب من فريسته فلا يأكل منها صاحبه.

ب- تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

قال ابن عباس (رضي الله عنه) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم لا تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول (ﷺ) من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه" ^(٤).

وهذا التفسير هو لابن عباس حبر الأمة، والذي دعا له الرسول (ﷺ) بالفقه والعلم، وهو تفسير مقبول ولا شك فيه.

(١) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤ / ٤٣١.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤ / ٤٣١.

(٣) سورة البقرة، الآيتان ٢١، ٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١ / ٥٨.

ج- تفسير قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١).

قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) في تفسير هذه الآية: "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً" (٢).

وهو في تفسيره (رضي الله عنه) لهذه الآية يظهر أن الذي ينهي نفسه عن السوء ويزجرها، كما ينهي الناس عن ذلك، يكون أعلم الناس، ولذلك يتفق تفسيره (رضي الله عنه) مع تفسير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهذه الآية؛ حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قال: قلت: من هؤلاء؟ قالوا: خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون" (٣).

وهذا دليل على أن تفسير الصحابة مستمد من تفسير النبي (صلى الله عليه وسلم) للقرآن، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يعرض لعقاب الخطباء الذين يأمرون الناس بفعل الخير وينسون أنفسهم، فسوف تقرض شفاههم بمقاريض من نار، أي: تقص شفاههم بمقصات من نار.

(١) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١ / ٨٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ٣ / ١٢٠، ١٢١؛ تفسير ابن كثير ج ١ / ٨٧.

د. تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(١).

روي عن عامر الشعبي، قال: "زنت امرأة منا من همدان، قال: فجلدها مصدق^(٢) رسول الله (ﷺ) الحد، ثم تاب، فأتوا عمر، فقالوا: نزوجها، وبئس ما كان من أمرها! قال عمر: لئن بلغني أنكم ذكرتم شيئاً من ذلك لأعاقبنكم عقوبةً شديدةً"^(٣).

وهذا القول الذي قال به عمر (رضي الله عنه)، يفسر قوله تعالى في نكاح المحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، من أن نكاح الحرائر جائز من المؤمنات، أو من الذين أوتوا الكتاب، فاجرة كانت أو عفيفة، طالما أنها تابت من ذنبها^(٤).

هكذا، نرى تفسير الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - للقرآن الكريم يمثل ثالث أنواع التفسير المأثور بعد تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بسنة النبي (ﷺ).

(١) سورة المائدة، من الآية ٥.

(٢) المصديق: هو العامل على الصدقات، يجمعها من أهلها. [حاشية تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤/ ٤٤٤].

(٣) انظر، تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤/ ٤٤٤.

(٤) انظر، تفسير ابن جرير الطبري، ج ٤/ ٤٤٤.

(٤) تفسير التابعي:

"أما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف العلماء، منهم من اعتبره من المأثور؛ لأنهم تلقوه من الصحابة غالبًا، ومنهم من قال: إنه من التفسير بالرأي" (١)
فالعلماء في قبول تفسير التابعين، وضمه إلى التفسير المأثور قد اختلفوا، فمن العلماء من لا يقبله ولا يضمه إلى التفسير المأثور، ومنهم من يتقبله ويضمه إلى جانب التفاسير السابقة [تفسير القرآن بالقرآن - تفسير القرآن بالسنة - وتفسير القرآن بأقوال الصحابة]؛ لأنهم تلقوه من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

فمن **الرافضين** **شعبة بن الحجاج** (٢)، قال: "أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة" (٣)، وهو يستدل بأن أقوالهم ليست حجة في الفروع، فكيف تكون حجة في التفسير؟ **ويعلق عليه صاحب الفتاوى، فيقول: إذا أجمعوا على الرأي فرأيهم حجة (*)**.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ / ١٤.

(٢) تأتي ترجمته في باب دراسة أسانيد تفسير الإمام مسروق.

(٣) مقدمة التفسير، ابن كثير

(*) وإجماعهم حجة لأن إجماع العلماء حجة في كل عصر لا لكونهم تابعين.

هذا عن عدم قبول قول التابعي، أما عن قبوله فقد جاء في مقدمة التفسير: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر^(١)؛ فإنه كان آيةً في التفسير، وكسعيد بن جبيرة^(٢)، وعكرمة^(٣) مولى ابن عباس، وعطاء^(٤) بن أبي رباح، والحسن البصري^(٥)، ومسروق بن الأجدع^(٦)."

وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير؛ لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة، فمجاهد مثلاً يقول: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأل عنها.

(١) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ، روى عن علي وابن عباس وعائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهم أجمعين - روى عنه عطاء وعكرمة وأبو إسحاق السبيعي، كان أعلم التابعين بالتفسير، قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وهو ثقة ولا شك في ذلك، تُوفي سنة مائة واثنين، أو مائة وثلاث بمكة. انظر، تهذيب التهذيب، ج ٥/ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) سوف تأتي ترجمته في الباب الثالث [دراسة أسانيد تفسير الإمام مسروق].

(٣) هو عكرمة الحزبي العالم أبو عبد الله المدني الهاشمي مولى ابن عباس، روى عن مولاه وعائشة وأبي هريرة وعقبة بن عامر، حدث عنه عاصم الأحول، وثور بن زيد، قال عكرمة: طلبت العلم أربعين سنة، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن، وقيل عنه: هو أعلم الناس، وهو بحر من بحور العلم، مات سنة سبع ومائة بالمدينة، انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١/ ٩٥، ٩٦.

(٤) هو عطاء بن أبي رباح مفتي أهل مكة أبو محمد بن أسلم القرشي مولاهم المكي، هو سيد التابعين علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكة، روى عن عائشة وأبي هريرة والكبار، عاش تسعين سنة أو أُزِيدَ، كان حجةً إماماً كبير الشأن، أخذ عنه أبو حنيفة وقال: ما رأيت مثله. قال ابن جريج: كان المسجد فراشه عشرين سنة. مات سنة أربع عشرة ومائة، وقيل سنة خمس عشرة بمكة. انظر، ترجمته في: تذكرة الحفاظ، ج ١/ ٩٨.

(٥) سوف تأتي ترجمته في الباب الثالث.

(٦) مقدمة التفسير لابن كثير

ويذكر د/ الذهبي رأيه في ذلك فيقول: "والذي تميل إليه النفس هو أن قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلا إذا كان مما لا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه، أما إذا أجمع التابعون على رأي، فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره" (١).

والحقيقة أن تفسير التابعين به ما يضم إلى التفسير المأثور، فأئمة التابعين وكبارهم تمتلئ تفاسيرهم بما أخذوه من الصحابة - رضوان الله عليهم - ولكن ما تدخلوا فيه بأرائهم لا يقبل، ولا يضم إلى التفسير المأثور إلا بعد التأكد من صحته، وأمثلة ذلك كثيرة، وسوف أمثل لما لا شك في قبوله وضمه للتفسير المأثور:

أ- تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٢).

قال كبار التابعين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هي الصلوات (٣)، ومعنى ذلك أن المواظبة على الصلوات الخمس هي من الحسنات

(١) التفسير والمفسرون، ج ١ / ١٢٩، ١٣٠.

(٢) سورة هود، الآية ١١٤.

(٣) فقد روى ذلك عن الحسن البصري وعن مجاهد وعن مسروق، انظر ذلك في تفسير ابن جرير الطبري ج ٧ / ١٢٩،

التي تذهب السيئات وتمحوها، وإن تفسير علمائنا الأجلاء صحيح؛ لأنهم أخذوا ذلك التفسير من كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - فقد قال ابن عباس (رضي الله عنه) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ الصلوات الخمس ^(١). كذلك أخذوا هذا التفسير من رسول الله (ﷺ)؛ حيث قال رسول الله (ﷺ): "أرأيتم لو أنه نُهَرَّأ بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما تقول ذلك يبق من درنه؟ قالوا: لا يبق من درنه شيئًا، قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا" ^(٢). فهذا الرسول المعصوم (ﷺ) يمثل الصلاة بالنهر الجاري، فكما يطهر النهر البدن من الأوساخ، تطهر الصلاة الجسد والروح من الذنوب والمعاصي.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ٧ / ١٢٩.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ج ١ / ١٣١، ١٣٢ في كتاب الصلاة، باب "الصلوات الخمس كفارة" من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

ب- تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (١).

وعن تفسير التابعين لهذه الآية الكريمة "قال مسروق، وإبراهيم النخعي (٢) والضحاك: أنها أنزلت في الرجل يطلق امرأته طلاقاً أو طلاقين، فتنقضي عدتها، ثم يبدو له أن يتزوجها وأن يراجعها، وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك، فنهى الله أن يمنعوها" (٣).

وهذا التفسير مأخوذ من تفسير ابن عباس (رضي الله عنه) (٤)، لذلك فهو يضم إلى التفسير المأثور؛ لأنه مأخوذ من تفسير الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين. كذلك هو تفسير بأسباب النزول (٥)، فحبر الأمة ابن عباس ومن تابعه من التابعين يظهرون في هذا التفسير السبب الذي نزلت من أجله الآية. هذا عما يضم إلى التفسير المأثور من تفسير التابعين.

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٣٢.

(٢) هو إبراهيم بن سويد النخعي الكوفي الأعور، روى عن الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس، روى عنه الحسن بن عبيد الله النخعي وزيد بن الحارث. قال ابن معين: مشهور، وقال النسائي: ثقة، وقال العجلي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال عنه الكاشف: ثقة. تُوفي سنة ١٣٩ هـ. انظر ترجمته في: الكاشف، ج ١ / ٢١٠، وتهذيب التهذيب ج ١ / ٨٣، ٨٤.

(٣) تفسير ابن كثير [تفسير القرآن العظيم]، ج ١ / ٢٨٣.

(٤) انظر، تفسير ابن كثير، ج ١ / ٢٨٣؛ حيث قال ابن كثير عن ابن عباس: "نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته طلاقاً أو طلاقين، فتنقضي عدتها، ثم يبدو له أن يتزوجها وأن يراجعها، وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك.

(٥) سوف يأتي بيان سبب النزول، وذلك في الفصل الثالث من الباب الثاني ص ٢٢٤

المبحث الثالث: المفسرون من الصحابة:

قال السيوطي في الإتقان: "اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روى عنه علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، والرواية عن الثلاثة قليلة جدًا وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم" (١)

"وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، كأنس بن مالك (٢)، وأبي هريرة (٣)، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله (٤)، وعائشة، غير أن ما

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج ٤ / ٢٣٣.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن بني عدي بن النجار، خادم رسول الله (ﷺ)، كان يتسمى به ويفتخر بذلك. خرج أنس مع رسول الله (ﷺ) إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم النبي (ﷺ) المدينة مهاجرًا عشر سنين، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله (ﷺ)، روى عنه قتادة والزهري والحسن البصري وخلق كثير، دعا له النبي (ﷺ) بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكرًا وابتنان، اختلف في سنة وفاته، فقبل ثُوْفِي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين. انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١ / ١٥١، ١٥٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة الدوسي، وهو أشهر من سكن الصفة واستوطنها طول عمر النبي (ﷺ)، ولم ينتقل عنها. كان النبي (ﷺ) إذا أراد أن يجمع أهل الصفة لطعام حضره، تقدم إلى أبي هريرة ليدعوهم ويجمعهم لمعرفته بهم، وبمنازلهم ومراتبهم، كان أحد أعلام الفقراء والمساكين، صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد، أعرض عن غرس الأشجار، وجري الأنهار، وعن مخالطة الأغنياء والتجار، زهد في لباس اللين والحرير، فعوض من حكم القطين الخبير، أسلم عام خيبر، وكانت خيبر سنة سبع من الهجرة، ومات سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

انظر ترجمته في حلية الأولياء، ج ١ / ٣٧٦ - ٣٨٥: تهذيب التهذيب، ج ٦ / ٤٧٩ - ٤٨٢.

(٤) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي من بني سلمة. شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير، ولم يشهد الأولى، ذكره بعضهم في البدرين، ولا يصح لأنه قد روي عنه أنه قال: لم أشهد بدرًا ولا أحدًا، منعي أي، ولكنه شهد مع النبي (ﷺ) بعد ذلك ثماني عشرة غزوة. وكان من المكثرين الحفاظ للسنن، وكُف بصره في آخر

نقل عنهم في التفسير قليل جدًا، فلم يكن لهم من الشهرة بالقول في القرآن ما كان للعشرة المذكورين أولاً^(١).

من النصين السابقين يتضح أن هناك من اشتهر بالتفسير من الصحابة، ومنهم من أكثر من التفسير، ومنهم من كان تفسيره قليلاً جدًا، وسوف أترجم لمن اشتهر من المفسرين من الصحابة - رضوان الله عليهم - وهم: (عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير).

أما عن الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم - فاعلم أنه أكثر من روى عنه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، والرواية عن الثلاثة في ندرة جدًا والسبب فيه تقدم وفاتهم.

وأما علي (رضي الله عنه) فروى عنه الكثير، روى "عن ابن مسعود أنه قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما فيها حرف إلا وله ظهر وبطن، وعليًا (رضي الله عنه) عنده من الظاهر والباطن"^(٢).

عمره، وتوفي سنة أربع وسبعين، وقيل سنة ثمان وسبعين، وقيل سبع وسبعين بالمدينة، انظر ترجمته في: الاستيعاب

في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٢١٩ - ٢٢٠.

(١) التفسير والمفسرون، ج ١ / ٦٤، مرجع سابق.

(٢) النص القرآني بين فهم العلماء وذوقهم، د. مصطفى الصاوي الجويني، ص ٥٢، منشأة المعارف بالإسكندرية.

وخطب علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: "سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل" ^(١).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ / ١٥، مرجع سابق.

(١) عبد الله بن مسعود (*)

١. نسبه وكنيته:

"هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن أم عبد الهذلي، صاحب رسول الله (ﷺ)، وخادمه، وأحد السابقين الأولين، ومن الكبار البدرين، ومن نبلاء الفقهاء والمقرئين ممن يتحرى في الأداء، ويتشدد في الرواية، ويزجر تلاميذه عن التهاون في ضبط الألفاظ. وأم عبد الله بن مسعود أم عبد بنت ود بن سواء بن مرسم بن صاهلة بن كاهل بن تميم بن هذيل" (١).

"هو الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، المكي المهاجري البصري، حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا" (٢).

(*) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٦/ ١٥٠ - ١٥٨؛ والجرح والتعديل للإمام شيخ الإسلام الرازي، ج ٥/ ١٤٩؛ وحلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١/ ١٢٤ - ١٩٩؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف ابن عبد الرحمن، ج ٣/ ٩٨٧ - ٩٩٤؛ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين المزي، ج ١/ ١٢١ - ١٢٧؛ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١/ ١٣ - ١٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ١/ ٤١١ - ٥٠٠؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٣/ ٢٦٧ - ٢٦٨؛ وانظر فضائله في صحيح البخاري، ج ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤؛ وصحيح مسلم، ج ١٦/ ١٣، ١٤.

(١) انظر، الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣/ ١٥٠؛ وتذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١/ ١٤؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١/ ٤٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١/ ٤٦١.

٢. من روى عنهم:

روى عن النبي (ﷺ)، وعن سعد بن معاذ^(١)، وعمر، وصفوان بن عسال^(٢)^(٣).

٣. من روى عنه:

روى عنه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعمران بن حصين^(٤)، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب^(٥)، وأبو هريرة، وأبو رافع مولى النبي (ﷺ)^(٦)، وغيرهم من

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن الخزرج أبو عمرو سيد الأوس، شهد بدرًا وأحدًا والخندق، ورُمي فيه بسهم فعاش بعد ذلك شهرًا، ثم مات من الجرح سنة ٥ من الهجرة. وقد قال: ثلاث أنا فيهن رجل [أي هو في هذه الثلاثة كما ينبغي أن يكون]: ما سمعت من رسول الله (ﷺ) حديثًا قط إلا علمت أنه حق من الله تعالى، ولا كنت في صلاة قط فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها ولا كنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٢ / ٢٨٣.

(٢) هو صفوان بن عسال المرادي الجملي، غزا مع النبي (ﷺ) اثنتي عشرة غزوة، وروى عنه (أي عن النبي ﷺ)، وسكن الكوفة. روى عنه زر بن حبيش. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٢ / ٥٥٥.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٣ / ٢٦٧.

(٤) هو أبو نجد الخزاعي صاحب رسول الله (ﷺ)، كان إسلامه وقت إسلام أبي هريرة، وله أحاديث عدة، وكان الحسن يخلف بالله ما قدم البصرة أحد خير لهم من عمران بن حصين، مات سنة اثنتين وخمسين، وكان به داء الناصور فاكتمى لأجله. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٢٩، ٣٠.

(٥) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الطفيل المدني الصحابي، نزل الكوفة ومات بها، روى عن النبي (ﷺ) وعن أبي بكر وعمر وعلي وغيرهم، ذكر أنه غزا مع النبي (ﷺ) خمس عشرة غزوة، مات سنة ٧٢ للهجرة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ١ / ٢٦٩.

(٦) اختلف في اسمه، فقيل: إبراهيم، وقيل: أسلم، وقيل: هرمز، وقيل: ثابت. وكان قبليًا قيل أنه كان للعباس عم النبي (ﷺ) فوهبه للرسول (ﷺ)، فلما أسلم العباس بشر أبو رافع رسول الله (ﷺ) بإسلامه (أي إسلام العباس) فأعتقه، تُؤنَّى في خلافة عثمان بن عفان، وقيل في خلافة علي (ﷺ) وهو الصواب إن شاء الله تعالى. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤ / ١٦٥٦، ١٦٥٧.

الصحابة والتابعين أصحاب الفقهاء، والأسود ومسروق وعبيدة وزر بن حبيش^(١)، وولده أبو عبيدة^(٢) وخلق كثير^(٣).

وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي^(٤). اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بإخراج واحد وعشرين حديثاً، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثاً^(٥).

٤. إسلامه وهجرته:

"أسلم عبد الله بن مسعود قبل دخول الرسول (ﷺ) دار الأرقم^(٦)، وكان أول من أفشى بالقرآن بمكة من في رسول الله (ﷺ)"^(١).

(١) هو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال الكوفي مخضرم أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعثمان وعلي وأبي ذر وابن مسعود وعائشة - رضي الله عنهم. كان ثقة، كثير الحديث، وكان من أعراب الناس، وكان يسأل عن العربية، مات سنة ٨١ أو ٨٢ أو ٨٣ وهو ابن ١٢٧ سنة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ج ٢ / ١٩٠.

(٢) هو عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي أبو عبيدة الكوفي، روى عن أبيه ولم يسمع عنه وعن أبي موسى الأشعري وعائشة - رضي الله عنها - وروى عنه إبراهيم النخعي، وأبو إسحاق السبيعي وغيرهما. روي عن أحمد بن حنبل أنه قال: كانوا يفضلون أبا عبيدة على عبد الرحمن (يقصد عبد الرحمن بن مهدي). فقد أبو عبيدة بن مسعود سنة إحدى وثمانين، وقيل سنة (٨٢) وذكر في الثقات. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل، ج ٦ / ٢٥٧، ٢٥٨؛ وميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٥ / ٣٤٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٥ / ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) الجرح والتعديل للإمام الرازي، ج ٥ / ١٤٩؛ سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٦١، ٤٦٢؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٣ / ٢٦٧، ٢٦٨.

(٤) هو مقرئ الكوفة وعالمها عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وسمع منهم ومن عمر، وتصدر للإقراء في خلافة عثمان إلى أن مات في سنة ثلاث وسبعين أو بعدها. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٥٨، ٥٩.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٤٦٢.

(٦) هو عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر القرشي المخزومي، يكنى أبا عبد الله. كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم قديماً، قيل كان ثاني عشر (أي ثاني عشر واحد في دخوله الإسلام)، وكان من المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا ونفله رسول الله (ﷺ) سيفاً، واستعمله على الصدقات. تُوفي الأرقم سنة ثلاث وخمسين وهو ابن ثلاث

أسلم قبل عمر، وحفظ من في رسول الله (ﷺ) سبعين سورة، وتسمع على النبي (ﷺ) ليلة وهو يدعو، فقال: سل تعطى، قال (ﷺ): "من أحب أن يقرأ القرآن غصًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد" (٢).

وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط (٣)، فمر به رسول الله (ﷺ)، وأخذ شاةً حائلًا من تلك الغنم فدرّت عليه لبنًا غزيرًا (٤).

وساق عبد الله بن مسعود حديثًا عن أول ما علمه عن رسول الله (ﷺ) يصف فيه رسول الله (ﷺ) وأمر دين الإسلام، فيقول: "أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة، له وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه، أدعج العينين (٥)، براق الثنايا (٦)، دقيق المسربة (٧)، كث اللحية، عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشي على يمينه غلام حسن الوجه مراهق أو محتلم، تفقوهم امرأة قد

وثمانين سنة، وقيل تُوفي سنة خمس وخمسين، وهو ابن بضع وثمانين سنة. انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ / ١٥١، وسير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٦٤، ٤٦٥.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٩٤، وسير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٧٥. والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ / ٤٤٥، ٤٥٤ بإسناد حسن.

(٣) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس، من مقدمي قريش في الجاهلية، كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوى، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام، تُوفي سنة ٢ هـ. انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧ / ٤٩.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ج ٣ / ٩٨٧؛ وسير أعلام النبلاء ج ١ / ٤٦٥.

(٥) أدعج العينين: "سواد العين في شدة بياضها. لسان العرب، ج ٢ / ١٣٧٨. ويقصد كان شديد سواد العينين.

(٦) براق الثنايا: أي أسنانه تلمع، وفي لسان العرب سنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدمة فيه: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل، لسان العرب، ج ١ / ٥١٦.

(٧) دقيق المسربة: أي دقيق الشعر النابت من الصدر إلى السرة. لسان العرب لابن منظور، ج ٣ / ١٩٨٢.

سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر، فاستلم، ثم استلم الغلام، واستلمت المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، وهما يطوفان معه، ثم استقبل الركن، ورفع يده وكبر وقام ثم رقع ثم سجد ثم قام، فرأينا شيئاً أنكرناه لم نكن نعرفه بمكة، فأقبلنا على العباس، فقلنا يا أبا الفضل: إن هذا الدين حدث فيكم أو أمر لم نكن نعرفه، قال: أجل والله ما تعرفون هذا، هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد^(١) امرأته، أما والله ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة. أسلم ابن مسعود بعد اثنين وعشرين نفساً^(٢).

"هاجر عبد الله بن مسعود إلى أرض الحبشة المهجرتين جميعاً، ولم يُذكر في الهجرة الأولى وذُكر في الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة"^(٣). ويظهر من هذا النص السابق أن الهجرة الثانية غير مذكورة في النص، ويبدو أن الهجرة الثانية التي لم تذكر في النص هي هجرته إلى المدينة المنورة، ويظهر ذلك مما قاله صاحب الاستيعاب؛ حيث قال: "شهد بدرًا والحديبية، وهاجر المهجرتين

(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد عبد العزى القرشية الأسدية، زوج النبي (ﷺ)، كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، أمها فاطمة بنت زائدة، تزوجت اثنين قبل رسول الله (ﷺ). وكانت إذ تزوجها رسول الله (ﷺ) بنت أربعين سنة، فأقامت معه أربعاً وعشرين سنة، وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر، كان رسول الله (ﷺ) إذ تزوج خديجة بنت خويلد ابن إحدى وعشرين، وقيل: ابن خمس وعشرين سنة وهو الأكثر. وأجمعوا أنها ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام وهاجرن، فهن: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم. وأجمعوا أنها ولدت له ابناً يسمى القاسم، به كان يكنى رسول الله (ﷺ). واختلف في وفاتها، فقيل: توفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل قبلها بأربع سنين وكانت وفاتها قبل تزوج رسول الله (ﷺ) عائشة. انظر ترجمتها في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤ /

١٨٢٥ - ١٨١٧

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ / ١٥١.

جميعاً، الأولى إلى أرض الحبشة، والثانية من مكة إلى المدينة، فصلى القبلتين، وشهد له رسول الله (ﷺ) بالجنة^(١).

٥. صفاته:

"كان ابن مسعود آدم^(٢)، لطيف الجسم ضعيف اللحم^(٣)، كما روى من حديث علي (عليه السلام) أنه قال: أمر رسول الله (ﷺ) ابن مسعود، فصعد شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من خموشة^(٤) ساقه، فقال رسول الله (ﷺ): "لَمْ تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد"^(٥). وقد نظر عمر مرة إلى ابن مسعود وقد قام، فقال: كنيف ملئ علماً^(*)، وكان ابن مسعود يقل في الرواية للحديث، ويتورع في الألفاظ"^(٦).

وفي السير، روى زيد بن وهب قال: إني لجالس مع عمر بن الخطاب إذا جاء ابن مسعود، فكاد الجلوس يوارونه من قصره، فضحك عمر حين رآه، فجعل عمر يكلمه، ويتهلل وجهه ويضحكه، وهو قائم عليه، ثم ولى فأتبعه عمر ببصره حتى توارى، فقال: كنيف ملئ علماً^(٧).

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٨٨؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٤٦٧.

(٢) آدم: أي أسمى شديد السمار، ففي لسان العرب لابن منظور: "الأدمة في الناس السمرة الشديدة"، ج ١ / ٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٦٧.

(٤) خموشة: أي دفتها ووجود آثار جروح بها، انظر، لسان العرب، ج ٢ / ٩٦٠.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٧٧، ٤٧٨؛ والحديث إسناده صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ١ / ١١٤.

(*) أي قصير، ملئ علماً: أي كثير العلم.

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ١٤.

(٧) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩١.

روي أنه لما قدم علي الكوفة، أتاه نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود، فسألهم عنه حتى رأوا أنه يمتحنهم، فقال: وأنا أقول فيه مثل الذي قالوا وأفضل، قرأ القرآن، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة" (١).
من هذه النصوص يتضح أن من صفات ابن مسعود أنه قصير القامة، رقيق الجسم، أخمش الساقين، ولكنه عالم من علماء الصحابة، وفقيه من السلف الصالح، ورع تقي، أحل حلال القرآن، وحرم حرامه.

٦. قراءته للقرآن:

"وقيل: إن أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله (ﷺ) عبد الله بن مسعود" (٢).

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث شقيق بن سلمة (٣) قال: خطبنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله (ﷺ) بضعة وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب النبي (ﷺ) أني أعلمهم بكتاب الله، وما

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ١ / ١٥٦؛ سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٦٦.

(٣) هو أبو وائل شقيق بن سلمة صاحب بن مسعود، أدرك الجاهلية، قال: بعث النبي (ﷺ) وأنا شاب ابن عشر حجج أرعى إبلاً لأهلي. روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعنه الأعمش ومنصور بن المعتمر وخلق كثير. يقال: أسلم في حياة النبي (ﷺ)، قيل عنه: ثقة لا يسأل عن مثله. وقيل: كان ثقةً كثير الحديث مات سنة ٨٢ هـ. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤ / ١٧٧٤، تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٦٠.

أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الخلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادًا يقول غير ذلك ^(١).

ومن هذا الحديث يتضح أن المعلم الأول لابن مسعود هو رسول الله (ﷺ)، وهو الذي أخذ عنه ابن مسعود قراءته فهو يقول أخذت من في رسول الله (ﷺ) بضعة وسبعين سورة. وقد أخرج البخاري حديثًا آخر يدل على ذلك وهو من حديث علقمة قال: "كنا بجمص، فقرأ ابن مسعود سورة يوسف، فقال رجل: ما هكذا أنزلت، فقال: قرأت على رسول الله (ﷺ)، فقال: أحسنت ووجد فيه ريح الخمر، فقال: أجمع أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ فضربه الحد" ^(٢).

وهكذا يظهر أن ابن مسعود أخذ قراءته من النبي (ﷺ)، كما أنه أول مقرئ جهر بالقرآن الكريم، وهو مقرئ النبي (ﷺ) لأنه كان دائمًا ما يقرأ عليه القرآن، ويظهر ذلك من الحديث الصحيح الذي اتفق على روايته البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود، قال: "قال رسول الله (ﷺ): اقرأ علي، قال قلت: اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمع من غيري، قال: فقرأت النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

(١) صحيح البخاري للإمام البخاري، ج ٣ / ٣٥٧، باب القراء من أصحاب النبي (ﷺ)، دار المنار ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) صحيح البخاري للإمام البخاري، ج ٣ / ٣٥٧؛ وصحيح مسلم ج ٦ / ٤٢٠ باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حفاظه، دار المنار، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿١﴾، قال لي: "كُفَّ" أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان" (٢).

وهذا دليل على أن ابن مسعود يستحق أن يسمى مقرئ النبي (ﷺ)؛ فهو يقرأ القرآن من في النبي (ﷺ)، ويقرأ القرآن بأمر رسول الله (ﷺ) عليه (ﷺ).

٧. فضله وعلمه:

أخرج البخاري في صحيحه من رواية مسروق بن الأجدع، قال: "قال عبد الله (ﷺ): والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل، لركبت إليه" (٣).

وأخرج البخاري في مناقب عبد الله بن مسعود (ﷺ) من رواية علقمة قال: دخلت الشام، فصليت ركعتين، فقلت: اللهم يسر لي جليسا، فرأيت شيخا مقبلا، فلما دنا قلت: أرجو أن يكون استجاب الله. قال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أفلم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة، أو لم يكن فيكم الذي أجير من الشيطان، أو لم يكن فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ كيف قرأ ابن أم عبد (والليل)؟ فقرأت: ﴿وَاللَّيْلِ﴾

(١) سورة النساء، الآية ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، ج ٣/ ٣٦٨، ٣٦٩؛ ومسلم في باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، ج ٦/ ٤١٩، ٤٢٠ واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، ج ٣/ ٣٥٧، ٣٥٨.

إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿١﴾، قال: أقرأنيها النبي (ﷺ)، فاه إلى في، فما زاد هؤلاء حتى كادوا يردوني " (٢).

هكذا يظهر من هذا الحديث أن عبد الله بن مسعود يقول: أقرأني النبي (ﷺ) سورة الليل، وهو دليل على أنه سمع القرآن من النبي (ﷺ). وقد روي هذا الخبر مدرجاً في معظم كتب تراجم علماء الحديث، فأخرجه ابن سعد في طبقاته، قال: كان عبد الله بن مسعود صاحب سواد رسول الله (ﷺ) يعني سره، ووساده يعني فراشه، وسواكه ونعليه، وطهوره، وهكذا في السفر (٣).

وأخرجه صاحب الحلية أيضاً، وأخرجه صاحب سير أعلام النبلاء بهذه الرواية السابقة، وروايتين غيرها ذكر منه عن علقمة قال: كان عبد الله صاحب الوساد والسواك والنعلين " (٤).

وهذا يدل على مدى فضل عبد الله بن مسعود، فقد كان قريباً من رسول الله (ﷺ) حتى إنه كان صاحب سر رسول الله (ﷺ) وصاحب فراشه وسواكه حتى نعليه وطهوره، ويظهر قربه أكثر من الحديثين التاليين: أخرج البخاري في

(١) سورة الليل، الآيات ١-٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن فضائل ابن مسعود، ج ٢ / ٤٤٣، ٤٤٤، وانظر حلية الأولياء، ج ١ / ١٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد، ج ٣ / ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ج ١ / ٤٦٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ج ١ / ٤٧٠.

صحيحه من رواية عبد الرحمن بن يزيد^(١) قال: "سألنا حذيفة^(٢) عن رجل قريب السميت والهدى من النبي (ﷺ) حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمياً وهدياً ودلاً بالنبي (ﷺ) من ابن أم عبد"^(٣). كذلك أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي (ﷺ)، لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي (ﷺ)"^(٤). فعبد الله بن مسعود أقرب سمياً وهدياً بالنبي (ﷺ) وهو أكثر الصحابة دخولاً على رسول الله (ﷺ)، ومعنى السميت: حسن الهيئة والمنظر في الدين، والسميت: الطريق وكلاهما له معنى واحد هو هيئة الإسلام، أو طريقة أهل الإسلام، والهدي والدل من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر^(٥).

وأخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عبد الله بن مسعود من حديث عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

(١) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جارية الأنصاري المدني أبو محمد، تابعي من رجال الحديث الثقات، ولد في حياة رسول الله (ﷺ)، وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز، قال الأعرج: ما رأيت رجلاً بعد الصحابة أفضل منه، مات بالمدينة سنة ٩٨ هـ. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، ج ٣ / ٣٤٢.

(٢) سوف تأتي ترجمته في ص ٦٨.

(٣) صحيح البخاري، ج ٢ / ٤٤٤، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ١٥٤؛ وحلية الأولياء ج ١ / ١٢٧؛ وتذكرة الحفاظ ج ١ / ١٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٤٧٠.

(٤) صحيح البخاري، ج ٢ / ٤٤٤؛ صحيح مسلم، ج ١٦ / ١٤؛ وانظر سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٦٨.

(٥) انظر لسان العرب، ج ٢ / ١٤١٣.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١﴾، قال لي رسول الله (ﷺ): "قيل لي أنت منهم" (٢).

ويكفي من فضله أن ينزل الله (ﻋَﻠَيْهِ) فيه قرآنًا، وأن يبشره سيد المرسلين بأنه من هؤلاء الذين نزلت فيهم الآية الكريمة. وإذا ما كان النبي (ﷺ) فضله وأعطاه سره، وفراشه، وسواكه، ونعله، وطهوره، وكان كثير الدخول على النبي (ﷺ) لفضله، كذلك فضله الصحابة، رضوان الله عليهم.

وجاء في تذكرة الحفاظ أن عمر بن الخطاب قال عن عبد الله بن مسعود أنه معلم ووزير، وهو من النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر، وآثر عمر بن الخطاب أهل القادسية بعلم عبد الله بن مسعود (٣).

هكذا كان عبد الله بن مسعود معلمًا ووزيرًا وآثره عمر بن الخطاب على نفسه، ولما كان عبد الله معلمًا فقد قال عنه الشعبي: "ما دخل الكوفة أحد من الصحابة أنفع علمًا ولا أفقه صاحبًا من عبد الله" (٤).

(١) سورة المائدة، من الآية ٩٣.

(٢) صحيح مسلم، ج ١٦ / ١٣. والمعنى أن عبد الله بن مسعود من الذين آمنوا وعملوا الصالحات في هذه الآية.

(٣) انظر تذكرة الحفاظ، ١ / ١٤؛ وسير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩١.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩٤.

وهذا مسروق يعتبره أحد اثنين انتهى إليهما علم الصحابة فيقول: "شامت أصحاب محمد فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وزيد، وأبي الدرداء^(١)، وأبي، ثم شامت الستة، فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله"^(٢).

"ولعل مسروقاً كان يرى أن مدرسة الرأي التي كان عمر بن الخطاب على رأسها هي التي تحمل العلم والفهم الحقيقي لدين الله تعالى وأهدافه ومراميه، وإلا ففي الصحابة فقهاء عظماء أيضاً كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعائشة، وغيرهم"^(٣).

٨. ورعه وزهده:

روي أنه كان يصوم الاثنين والخميس، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبد الله بن مسعود، فقليل له: لم لا تصوم؟ فقال: "إني أختار الصلاة عن الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة"^(٤).

(١) هو أبو الدرداء عومير بن زيد، ويقال: ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الإمام الرباني، وكان يقال: هو حكيم هذه الأمة، قيل: إن إسلامه تأخر إلى يوم بدر، ثم شهد أحداً وأبلى يومئذ بلاءً حسناً، وحفظ القرآن عن رسول الله ﷺ، وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق وفقههم وقاضيه، مات أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٢٤، ٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩٢، ٤٩٣.

(٣) موسوعة فقه عبد الله بن مسعود، د. محمد رواش قلع جي، دار النفائس، ص ١٠١.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ١٥٥.

وعن أبي عبيدة قال: أرسل عثمان إلى أبي عبد الله بن مسعود يسأله عن رجل طلق امرأته، ثم راجعها حين دخلت في الحيضة الثالثة، فقال أبي: "وكيف يفتي منافق؟ فقال عثمان: نعيذك الله أن تكون هكذا قال: هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة" (١).

إن ابن مسعود كان يصوم قليلاً، ويصلي كثيراً، وفي الرواية السابقة يقول عن نفسه: "كيف يفتي منافق"، وهذا دليل على ورعه وتواضعه، فرغم كل الفضل الذي حظي به من الرسول (ﷺ) وصحابته إلا أنه يقول على نفسه منافقاً تواضعاً وورعاً.

وروي أن جماعة كانوا عند علي (رضي الله عنه) فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً، ولا أرفع تعليمًا، ولا أحق مجالسةً، ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود. فقال علي: ناشدtkم بالله، إنه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: "اللهم إني أشهدك، اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل" (٢).

٩. من أقوال ابن مسعود:

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ١٥٥.

قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبجزئه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يَحْتالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا، حكيماً عليماً، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافياً ولا غافلاً..".

وقال: ما دمت في صلاة فأنت تفرح باب الملك، ومن يفرح باب الملك يفتح له ، وقال: إن استطعت أن تكون أنت المتحدث، أو إذا سمعت الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها بسمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه " (١).

وقال ابن مسعود أيضاً: إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير، الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، كخراب البيت الذي لا عامر له ، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي يسمع فيه سورة البقرة " (٢).

وقال: تعلموا العلم، فإذا علمتم فاعملوا، وقال: ويل لمن لا يعلم، ولو شاء الله لعلمه، وويل لمن يعلم سبع مرات " (٣).

(١) حلية الأولياء، ج ١ / ١٣٠.

(٢) حلية الأولياء، ج ١ / ١٣١.

(٣) حلية الأولياء، ج ١ / ١٣١.

وقال: حبذا المكروهان: الموت والفقر، وأيم الله ما هو إلا الغني والفقر، ما أبالي بأيهما ابتدأت، إن كان الفقر إن فيه للصبر، وإن كان الغنى إن فيه للعطف، لأن حق الله في كل واحد منهما واجب^(١).

وهكذا، تدل أقوال ابن مسعود على مدى حكمته، وعلمه، وورعه، كما تدل على مدى فهمه للدين الحنيف، ومدى فهمه للدنيا والآخرة.

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٩٦.

١٠ . وفاته:

"مرض عبد الله، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا أمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه" (١).

"مات ابن مسعود بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين" (٢)، "روي أنه عاش بضعة وستين سنة، وقيل: عاش ثلاثاً وستين سنة" (٣).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٤٩٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ج ١ / ٤٩٩ .

(٣) انظر، المرجع السابق نفسه، ج ١ / ٤٩٩ .

عبد الله بن عباس (*)

١. نسبه ولقبه ومولده:

"هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس المدني، ابن عم رسول الله (ﷺ)، كان يقال له الحَبَر والبحر لكثرة علمه" (١)، واسمه "عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وأمه هي أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن بن كبير الهلالية من هلال من عامر" (٢)، "كان يكنى أبو العباس، فهو أكبر أولاده، ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين" (٣).

(*) انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد، ج ٢ / ٣٦٥ - ٣٧٢؛ التاريخ الكبير للبخاري، ج ٥ / ٣ - ٥؛ الجرح والتعديل، ج ٥ / ١١٦؛ حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١ / ٣١٤ - ٣٢٩؛ الاستيعاب، ج ٣ / ٩٣٣ - ٩٤٠؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين المزي، ج ١٥ / ١٥٤ - ١٦٢؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٤٠، ٤١؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٣١ - ٣٥٩؛ البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٢٩٨ - ٣١٠؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٣ / ١٨٠ - ١٨٢.

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ج ١٥٤، ١٥٥؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٣٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٣٣.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٣٣؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٣٢ بتصرف.

وروي عن ابن عباس، قال: لما كان رسول الله (ﷺ) في الشعب جاء أبي إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: يا محمد، أرى أم الفضل (١) قد اشتملت على حمل. فقال: "لعل الله يقرّ أعينكم". قال: فلما ولدتني أتى بي رسول الله (ﷺ) وأنا في خرقة، فحنكني بريقه. قال مجاهد: فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله (ﷺ) بريقه غيره (٢).

٢. إسلامه ودعاء النبي له:

"انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من ولدان، وأمي من النساء" (٣).

هذا عن إسلامه، وقد دعا له النبي (ﷺ) أن يفقهه في الدين، ويعلمه التأويل، وقد ورد ذلك في الصحيحين كما سيأتي، ولذلك كان عبد الله بن عباس خبر الأمة، فلقب بالخبز ولقب بالبحر لغزارة علمه، وكثرة فقهه، ودعاء النبي له بالعلم، لا بد وأن يظهر عليه، فعلمه الله ما لم يكن يعلم، واستجاب لدعاء نبيه (ﷺ)، فأخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس

(١) هي لبابة بنت الحارث بن حزن، روت عن النبي (ﷺ)، وروى عنها ابنها عبد الله بن عباس، وأنس بن مالك - رضي الله عنهما - يقال عنها: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة - رضي الله عنها. ماتت قبل زوجها العباس بن عبد المطلب في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنهما. انظر ترجمتها في: تهذيب التهذيب، ج ٦ / ٦١٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، المجلد الرابع، ج ٨ / ٢٩٨، دار الريان للتراث.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٣٣.

قال: "ضممني النبي (ﷺ) إلى صدره وقال: "اللهم علمه الحكمة"، وفي رواية أخرى لابن عباس أيضًا، قال: "الله علمه الكتاب" ^(١)، وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس أيضًا "أن النبي (ﷺ) أتى الخلاء، فوضعت له وضوءًا، فلما خرج قال: من وضع هذا؟ قلت: ابن عباس، قال: "اللهم فقهه" ^(٢).

هكذا ثبت في الصحيحين دعاء النبي (ﷺ) لابن عباس بالحكمة والفقه وعلم الكتاب، أي تعلم تفسيره وتأويله، وروي عن ابن عباس أنه رأى جبريل، وأن رسول الله (ﷺ) دعا له بالحكمة، وفي رواية بالعلم، مرتين ^(٣).

٣. من روى عنهم:

لقد ارتشف ابن عباس العلم من أفواه كبار الصحابة، وصحب رسول الله (ﷺ) فترة طفولته وقبل احتلامه، أو صاحبه حتى بلوغه كما سيأتي.

فقد قال البخاري في كتاب التاريخ الكبير: "قال ابن عباس: قرأت المحكم على عهد النبي (ﷺ) يعني المفصل" ^(٤)، وفي الجرح والتعديل "له صحبة" ^(٥)،

(١) صحيح البخاري، باب ذكر ابن عباس (ﷺ)، ج ٢ / ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) صحيح مسلم، باب فضل ابن عباس، ج ١٦ / ٣٢، ٣٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٢٩٩، ٣٠٠.

(٤) كتاب التاريخ الكبير للبخاري، ج ٥ / ٤.

(٥) الجرح والتعديل، ج ٥ / ١١٦.

وفي الاستيعاب "وما قاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصح والله أعلم وهو قولهم أن ابن عباس كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم تُؤَيِّ رسول الله (ﷺ)"^(١)، وفي سير أعلام النبلاء: "قال شعبة: عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير^(٢)، عن ابن عباس قال: تُؤَيِّ رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة"^(٣)، وفي تاريخ البخاري الكبير: "تُؤَيِّ النبي وأنا ابن خمس عشرة سنة"^(٤). وهذا يدل على بلوغ ابن عباس سنًا يستطيع فيه أن يتلقى العلم في حياة النبي (ﷺ)، ولذلك يقول صاحب السير: "صحب النبي (ﷺ) نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملة صالحة"^(٥). أما عمن روى عنهم وأخذ العلم منهم من الصحابة فهم: أبي بن كعب، وأسامة بن زيد^(٦)، وخالد بن الوليد^(٧) وهو ابن

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٣٤.

(٢) سوف تأتي الترجمة هؤلاء العلماء عند دراسة أسانيد تفسير الإمام مسروق.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٣٥.

(٤) كتاب التاريخ الكبير للبخاري، ج ٥ / ٥.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٣٢.

(٦) هو أسامة بن زيد بن شراحيل بن عبد العزى، استعمله النبي (ﷺ) وهو ابن ثمان عشرة سنة، لم يبايع عليًا، ولا شهد معه شيئًا من حروبه، لأنه أعطى رسول الله (ﷺ) عهدًا ألا يقتل من شهد أنه لا إله إلا الله. كان أسود أفطس، تُؤَيِّ آخر أيام معاوية سنة ثمان أو تسع وخمسين، وقيل: تُؤَيِّ سنة أربع وخمسين، انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١ / ٧٩ - ٨١.

(٧) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي القرشي. كان خالد أحد أشراف قريش في الجاهلية، اختلف في وقت إسلامه وهجرته، فقيل: هاجر خالد بعد الحديبية، وقيل: بل كان إسلامه بين الحديبية وخير، وقيل: بل كان إسلامه سنة خمس، وقيل: بل كان إسلامه سنة ثمان مع عمرو بن العاص، شهد مع رسول الله (ﷺ) فتح مكة، فأسلم فيها، وبعثه رسول الله (ﷺ) إلى العزى، وكان بيئًا عظيمًا لقريش وكنانة ومضر، فهدمه، وكان (ﷺ) يوليه أعتة الخيل، أي: مقدمة الخيل. فيكون في مقدمتها في محاربة العرب، وسمي خالد بن الوليد بسيف الله المسلول من كثرة جهاده مع رسول الله (ﷺ). تُؤَيِّ خالد بن الوليد سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب، ولما حضرته الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه

خالتة، وسعد بن عبادة^(١)، وأبوه العباس بن عبد المطلب^(٢)،

وعبد الرحمن بن عوف^(٣)، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر^(٤)، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان^(١)، وأبو

ضربة، أو طعنة، أو رمية، وها أنا أموت على فراشي. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢ / ٤٢٧ إلى ٤٣١.

(١) هو سعد بن عبادة بن دليم بن أبي خزيمة بن الخزرج الأنصاري سيد الخزرج، شهد العقبة وغيرها من المشاهد، واختلف في شهوده بدرًا، روى عن النبي (ﷺ)، روى عنه ابن عباس، والحسن البصري، كان سعد في الجاهلية يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، وروي أن راية رسول الله (ﷺ) في المواطن كلها كانت مع علي على المهاجرين، ومع سعد بن عبادة على الأنصار. مات سنة ١٥ وقيل سنة ١٤، وقيل سنة ١١ من الهجرة. انظر، تهذيب التهذيب، ج ٢ / ٢٧٩.

(٢) هو عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله (ﷺ) يكنى أبا الفضل، بابنه الفضل بن العباس، وكان العباس أسن من رسول الله (ﷺ) بسنتين وقيل بثلاث سنين، وكان العباس في الجاهلية رئيسًا في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية، أسلم العباس قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، وقيل إسلامه قبل بدر، وكان (ﷺ) يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله (ﷺ)، وكان المسلمون يتقوون به بمكة. وكان أصحاب رسول الله يعرفون للعباس فضله، ويقدمونه ويشاورونه، ويأخذون برأيه، واستسقى به عمر = فسقى. تُؤفِّي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالقيع. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢ / ٨٠٢ - ٨٠٨.

(٣) هو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن مرة القرشي الزهري يكنى أبا محمد، ولد بعد القيل بعشر سنين، وأسلم قبل أن يدخل الرسول (ﷺ) دار الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة. شهد بدرًا، وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ)، وكان أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذي جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم. تُؤفِّي سنة إحدى وثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله. انظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣ / ٤٨٠ إلى ٤٨٥.

(٤) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن الحصين بن ثعلبة، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في سبيل الله، واختلف في هجرته إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه

بكر الصديق، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأسماء بنت أبي بكر الصديق^(٢)، وعائشة^(٣).

وهكذا يظهر مدى الكم الهائل الذي تتلمذ عليه ابن عباس من صحابة رسول الله (ﷺ)، والذي يصل إلى ما يزيد على خمس وثلاثين صحابي وصحابية على التقريب.

٤. الذين رووا عنه:

ولقد ذكر صاحب تهذيب الكمال عددًا كبيرًا ممن رووا عن عبد الله بن عباس، وتابعه في هذا العدد الهائل صاحب تهذيب التهذيب، ولذلك سوف

بها، قُتل مع علي بصفتين سنة سبع وثمانين، وله ثلاثة وتسعون سنة. انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧/ ٦٤، ٦٥.

(١) هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف، القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحًا حليماً وقوراً، ولد بمكة سنة ٢٠ قبل الهجرة، وأسلم يوم فتحها (سنة ٨ هـ)، وتعلم الكتاب والحساب، فجعله رسول الله (ﷺ) في كتابه، ولاه أبو بكر قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد ابن أبي سفيان، وجعله عمر والياً على الأردن، ثم جاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها، وجعل ولاية أمصارها تابعين له، وولي علي بن أبي طالب فعزل معاوية، وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد فنأدى بثأر عثمان، واتهم علياً بدمه، ونشبت حروب طاحنة بينه وبين علي، وانتهى الأمر بإقامة معاوية في الشام، وإقامة علي في العراق، مات معاوية في سنة ٦٠ هـ. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، ج ٧/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية زوج الزبير بن العوام، وهي أم عبد الله بن الزبير، وهي ذات النطاقين، ولدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة، وكان عمر أبيها لما ولدت نيفاً وعشرين سنة، واسلمت بعد سبعة عشر إنساناً، وهاجرت إلى المدينة، وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فوضعت بقاء، ولقد عاشت وطال عمرها، وعميت، وبقيت إلى أن قتل ابنها عبد الله سنة ثلاث وسبعين، وعاشت بعد قتله قيل: عشرة أيام، وقيل عشرون يوماً، وقيل بضع وعشرون يوماً، وماتت ولها مائة سنة. انظر ترجمتها في: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٧/ ١٠٢٩.

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين يوسف المزني، ج ١٥/ ١٥٥، ١٥٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣/ ٣٣٢؛ وتهذيب التهذيب، ج ٣/ ١٨٠.

أذكر بعض تلاميذ بن عباس ثم أذكر جملة العدد الذي ذكر في كتاب تهذيب الكمال "أريدة التميمي صاحب التفسير" ^(١)، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي ^(٢)، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم ^(٣)، وطاووس بن كيسان ^(٤)، وعامر بن شراحيل الشعبي، وأبو الضحى مسلم بن صبيح ^(٥).

هذا بعض من روى عن ابن عباس، وإن جملة ما ذكر في تهذيب الكمال يصل إلى مائة وخمسة وتسعين راوياً، وهذا يدل على شيئين أحدهما، كثرة العدد الذي تتلمذ على يد عبد الله ابن عباس، فعدد ضخم مثل هذا - غير الذي غفله كتاب الحديث - دليل على كثرة تلاميذ ابن عباس، والثاني، أن ابن عباس يستحق أن يلقب بلقب خبر الأمة، ويستحق أن يلقب بلقب البحر؛

(١) هو أريدة، ويقال أريد التميمي البصري صاحب التفسير، كان يجالس ابن عباس، وروي عنه ولم يرو عن أريدة سوى أبي إسحاق السبيعي، هكذا ذكر في كتب التراجم، ولم يذكر شيء عن مولده ولا عن وفاته. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد، ج ١ / ٣٠٠؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ٢ / ٣١٠.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي أبو محمد القرشي، روى عن أنس وابن عباس، ورأى ابن عمر، والحسن بن علي وأبي هريرة، وعنه شعبة والثوري، قيل عنه: ثقة. وقال النسائي في الكنى: صالح، وقال في موضع آخر: ليس به بأس، مات سنة ١٢٧ هـ. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ١ / ٣٩٥، وتهذيب التهذيب، ج ١ / ١٩٩.

(٣) هو الضحاك بن مزاحم البلخي، الهلالي الخراساني أبو القاسم مفسر، محدث، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك وغيرهم، وعنه جوير ابن سعيد والحسن بن يحيى البصري، قيل عنه ثقة مأمون، وذكر في الثقات، وقيل عنه: لقي جماعة من التابعين، مات سنة ١٠٦ هـ. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين، ج ٣ / ٣١٠؛ والأعلام للزركلي، ج ٣ / ٢٧.

(٤) سوف تأتي الترجمة له عند الحديث عن تفسير التابعين، ص ٨٣.

(٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٥٦ / ١٥٨، ١٥٨ - ١٦١؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٢٣٢، ٢٣٣؛ وتهذيب التهذيب، ج ٣ / ١٨٠، ١٨١.

(لغزارة علمه)، لأنه لا يجتمع هذا العدد الكبير إلا حول عالم، ولا يكون هذا
الكم إلا وإن كانوا يغرفون من بحر.

٥. فضله وورعه:

يكفي من فضله دعاء النبي (ﷺ) له، فقد روي عن ابن عباس قال: "دعا لي رسول الله (ﷺ) أن يؤتيني الله الحكمة مرتين" (١).

و"روي عنه أيضاً أنه رأى جبريل عند النبي (ﷺ) مرتين" (٢). فرؤية جبريل عند رسول الله (ﷺ) تدل على فضله العظيم. ومن فضله "أنه كان يفتي في عهد عمر وعثمان يوم مات، وقال عنه عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس" (٣). كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحب ابن عباس، وعبر عن ذلك بقوله: "لا يلومني أحد على حب ابن عباس" (٤). ويكفي عبد الله بن عباس فضلاً أنه من أهل بيت النبي (ﷺ)، ولذلك كان يحظى بمكانة جليلة بين صحابة رسول الله (ﷺ).

أما عن ورعه فكان يحب أن يسأل أصحاب رسول الله (ﷺ) حتى يستطيع أن يجيب من يسأله، فقال له رجل من الأنصار متعجباً كيف يفتقر الناس إليك، وصحابة رسول الله (ﷺ) كثر، فترك ذلك وتفرغ ليتعلم من الصحابة، وروي ذلك عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله (ﷺ)، فإنهم اليوم كثير، قال فقال: واعجباً لك يا ابن عباس: أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله (ﷺ)، من فيهم، قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٥.

(٢) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر، ج ٣ / ٩٣٥؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٣٩؛ البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٣٠٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٤٧.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٤٦.

أصحاب رسول الله (ﷺ) عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتي بابه وهو قائل فأتوسد^(*) ردائي على بابه، تسفي الريح عليّ التراب، فيخرج فيقول لي: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فأتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رأيني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني^(١).

هكذا، كان يذهب لطلب العلم في ورع وتواضع، ويجلس في القيلولة أمام الباب لا يريد أن يقلق صاحبه، حتى ولو هالت الريح التراب على وجهه، مع أن أصحاب رسول الله (ﷺ) كان يعرفون فضله، وأنه من أهل بيت النبي (ﷺ)، فيقولون نحن أحق بالذهاب إليك فيرفض، "وصحبه رجل فقال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا نزل، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفًا حرفًا، ويكثر في ذلك من النحيب"^(٢).

٦. صفاته:

(*) فأتوسد: توسد، ووسده إياه فتوسد، إذا جعله تحت رأسه، أي: يجعل ردائه تحت رأسه فينام عليه. لسان العرب، ج٦ / ٤٨٣٠.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٢ / ٣٦٧، ٣٦٨؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٣ / ٣٤٢، ٣٤٣؛ البداية والنهاية لابن كثير، ج٨ / ٣٠١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٣ / ٣٥٢؛ البداية والنهاية، ج٨ / ٣٠٦. وزاد بعد النحيب، ويقرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: الآية ١٩)

وكان ابن عباس جميلاً وسيماً، فزُوي عن مسروق - موضوع الرسالة - أنه قال: "كنت إذا رأيت عبد الله بن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا تكلم قلت: أفصح الناس، وإذا تحدث قلت: أعلم الناس" ^(١).

وفي السير: "كان وسيماً جميلاً، مديد القامة، مهيباً، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال" ^(٢). وفي البداية والنهاية: "كان جسيماً إذا جلس يأخذ مكان رجلين، جميلاً له وفرة" ^(٣)، قد شاب مقدم رأسه، وشابت لفته ^(٤)، وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد، حسن الوجه، يلبس حسناً ويكثر من الطيب، بحيث أنه إذا مر في الطريق يقول النساء هذا ابن عباس، أو رجل معه مسك، وكان وسيماً أبيض طويلاً جسيماً فصيحاً، ولما عمي اعترى لونه صفرة يسيرة" ^(٥).

٧. علمه:

"لقد سمي ابن عباس الحبر، وكان "يسمى البحر وذلك لكثرة علمه" ^(٦)، فكان ابن عباس إمام الفقهاء، ومعلم المفسرين، وهو مفسر الأمة، ولا شك

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر، ج ٣ / ٩٣٥؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٥١ والبداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٣٣.

(٣) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.

(٤) اللمة: الشعر المجاور شحمة الأذن.

(٥) البداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٩.

(٦) الجرح والتعديل، ج ٥ / ١١٦؛ حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١ / ٣١٦؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال،

في ذلك، وجاء عن علمه في الطبقات الكبرى "كان ابن عباس إذا سئل عن الأمر، فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله (ﷺ) أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله، وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه" (١).

إذن فعلم ابن عباس حوى تفسير القرآن بما فيه، وحوى السنة المطهرة الصحيحة بما فيها، وحوى أقوال الصحابة بما فيها، ثم زاد على ذلك اجتهداه رأيه، ولا شك أنه من العلماء الذين يقبل اجتهداهم ويؤخذ به. وروي عن طاووس قال: "ما رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس" (٢). وقيل لطاووس: لزممت هذا الغلام - يعني ابن عباس - وتركت الأكابر من رسول الله (ﷺ)، فقال: إني رأيت سبعين من أصحاب رسول الله (ﷺ) إذا تدارؤوا في شيء صاروا إلى قول ابن عباس" (٣). "قال عطاء، كان ناس يأتون ابن عباس للشعر، وناس للأنساب، وناس لأيام العرب ووقائعها، فما منهم من صنف إلا يقبل عليه بما شاء" (٤).

وعلى هذا يكون علم ابن عباس متسع لكل نوع من أنواع العلم، فلم يقتصر علمه بالقرآن والسنة، وإنما امتد إلى الشعر والأنساب، وأيام العرب ووقائعها، وهو ما يثبت علمه بالقرآن والسنة؛ لأن القرآن جاء بلغة العرب الذين برعوا في الشعر وفنون الكلام، وكذلك امتد علمه إلى الفقه وعلم اللغة والحساب وغيرها من العلوم؛ فقد روي "إن ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه ما احتيج إليه من رأيه، وما كان أحد أعلم بما سبقه من حديث رسول الله (ﷺ) منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٥٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٧؛ كتاب التاريخ الكبير للبخاري، ج ٥ / ٤؛ والبداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٤.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ٢ / ٣٦٨.

أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً فيما احتيج إليه منه" (١).

٨. تفسيره:

"روي عن الحسن (٢) أنه كان مثجاً (*) كثير العلم، قال فقرأ سورة البقرة ففسرها آية آية" (٣). وروي أن أبا وائل قال: خطبنا ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، ولو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت (٤). هذا عن جملة علمه في التفسير، فكان يفسر السورة آية آية، فلا يقف عند لفظ أو معنى. أما عن بعض المقتطفات من تفسيره فجاء شيء كثير، من ذلك في كتاب حلية الأولياء منه أنه قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهمني، فقال: ما تقولون ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٥) حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله تعالى ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٨؛ والبداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٤.

(٢) سوف تأتي الترجمة له في الباب الثالث، باب دراسة أسانيد التفسير.

(*) مثج: مثج بالشيء: غُدَّ به، ويقال: مثج البحر إذا نزعها، وكون ابن عباس مثج في العلم، أي متغذٍ بالعلم ممتلئ به.

انظر لسان العرب، ج ٦ / ٤١٣٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦٧؛ البداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٤؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٤٠.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٣٦؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٥١؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٣٠٢.

(٥) سورة النصر، الآية ١.

وقال بعضهم لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً.. فقال لي: يا ابن عباس كذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه الله له، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾^(١)، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم^(٢).

"وروي عن ابن عباس أيضاً أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - جلس في رهط من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين فذكروا ليلة القدر، فتكلم منهم من سمع فيها بشيء لما سمع فتراجع القوم فيها الكلام فقال عمر: ما لك يا ابن عباس صامت لا تتكلم؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة، قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى وتر يحب الوتر، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع، خلق الإنسان وتحتة أرضين سبعاً، وأعطى من المثاني سبعاً، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع، وقسم الميراث في كتابه على سبع، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله (ﷺ) بالكعبة سبعاً، وبين الصفا والمروة سبعاً، ورمى الجمار بسبع لإقامة ذكر الله مما ذكر في كتابه فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان، والله أعلم. فتعجب عمر، وقال: ما وافقني فيها أحد عن رسول الله (ﷺ) إلا هذا الغلام،

(١) سورة النصر، الآية ٣.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ / ٣١٧؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٤٣؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٣٠١.

إن رسول الله (ﷺ) قال: "التمسوها في العشر الأواخر"^(١)، ثم قال، يا هؤلاء من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس^(٢)، وقد يقصد صاحب الحلية أنه قال في السابع من السبع الأواخر من شهر رمضان والله أعلم، والدليل على ذلك ما جاء في البداية والنهاية "وسأله مرة عن ليلة القدر فاستنبط أنها في السابعة من العشر الأخيرة، فاستحسنه عمر واستجاده"^(٣).

وروي عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السماوات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾^(٤)، قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعالى فأخبرني ما قال. فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: كانت السماوات رتقًا لا تمطر، وكانت الأرض رتقًا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأنبأه بما قاله ابن عباس، فقال ابن عمر: قد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علمًا"^(٥).

٩. بعض الأحداث في حياته وبعض أقواله:

(١) أخرجه البخاري، ج ١ / ٤٦٣ في باب التماس ليلة القدر.

(٢) حلية الأولياء، ج ١ / ٣١٧، ٣١٨.

(٣) البداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٢.

(٤) سورة الأنبياء، من الآية ٣٠.

(٥) حلية الأولياء، ج ١ / ٣٢٠.

"تولي ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان له وهو محصور، وفي غيبته هذه قتل عثمان، وحضر ابن عباس مع علي الجمل، وكان على الميسرة يوم صفين، وشهد قتال الخوارج، وتأمر على البصرة من جهة علي، وكان أهل البصرة مغبوتين به، يفقههم ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات علي، أو يقال إن عليًا عزله عنها قبل موته، ثم تولى معاوية فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعًا، فكان معاوية يقول: ما رأيت أحدًا أحضر جوابًا منه، ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي ^(١) اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزاه فيه بأحسن تعزية، ورد عليه ابن عباس ردًا حسنًا، ولما مات معاوية ورام الحسين ^(٢) الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي، وأراد أن يتعلق بثياب الحسين - لأن ابن عباس كان قد أضر (عمي) في آخر

(١) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي حفيد رسول الله (ﷺ)، وابن ابنته فاطمة - رضي الله عنها - وابن ابن عم رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب، يكنى أبا محمد، ولدته فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

كان الحسن (رضي الله عنه) أشبه برسول الله (ﷺ) ما بين الصدر إلى الرأس، وكان من المبادرين إلى نصرته عثمان والذابين عنه، ولما قتل أبوه علي (رضي الله عنه) بايعه أكثر من أربعين ألفًا، كلهم كانوا بايعوا أباه عليًا قبل موته، وكانوا أطوع للحسن، وأحب فيه منهم في أبيه، فبقي نحوًا من أربعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان، ثم سار إلى معاوية، وسار معاوية إليه فكتب معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه، واشترط في ذلك على معاوية شروطًا = فوافقته معاوية. ثُوِيَ سنة تسع وأربعين، وقيل مات في سنة خمسين، وقيل مات سنة إحدى وخمسين. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرف الأصحاب، ج ١ / ٣٨٣ - ٣٩٢.

(٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، يكنى أبا عبد الله، ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، ولم يكن بين الحسن والحسين إلا طهر واحد. وكان الحسين فاضلاً ديناً كثير الصيام والصلاة والحج. قتل (رضي الله عنه) يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٣٩٢ - ٣٩٩.

عمره، فلم يقبل منه! فلما بلغه موته حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته، وكان يقول: يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، فإنك إن لا تفعل تندم، وجاء إليه رجل فقال له : أوصني، فقال: أوصيك بتوحيد الله والعمل له ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كان خيراً آتية أنت بعد ذلك منك مقبول، وإلى الله مرفوع، إنك لن تُزَوَّد من موتك إلا قرباً، فصل صلاةً مودع، وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وابلِك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعلك" (١)

١٠ . وفاته:

أجمعت معظم كتب السير على أنه تُؤيِّ سنة ثمان وستين، وهناك القليل الذي قال أنه مات سنة سبع أو تسع وستين، أو سنة سبعين، فقال: صاحب الاستيعاب "تُؤيِّ سنة ثمان وستين أو سبعين وهو ابن إحدى وسبعين أو أربع وسبعين سنة" (٢). وجاء في تهذيب الكمال "وقال أبو نعيم، وأبو بكر بن أبي شيبة، ويحيى بن بكير: مات سنة ثمان وستين، زاد يحيى وهو ابن إحدى أو اثنين وسبعين.. وقيل مات سنة تسع وستين، وقيل مات سنة سبعين" (٣). وجاء في تذكرة الحفاظ: "تُؤيِّ ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين" (٤)،

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٣٠٧، ٣٠٨. وشسع النعل: قبالتها الذي يشد إلى زمامها، والزمام: السير الذي

يعقد فيه الشسع، والجمع شسوع. لسان العرب، ج ٤ / ٢٢٥٧.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٣٤.

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٥ / ١٦٢.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٤١٢.

وقال صاحب السير: "ثُوَيِّ ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين" ^(١)، وجاء في البداية والنهاية: "فلما كان في سنة ثمان وستين ثُوَيِّ ابن عباس بالطائف" ^(٢). وجاء عن جنازة عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) أنها كانت بالطائف، فلما وضع ليُصلَّى عليه، جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه، فالتمس فلم يوجد، فلما سوي عليه سمع صوت، يسمع صوته ولا يرى شخصه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٥٩.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٨ / ٣٠٩.

(٣) انظر حلية الأولياء، ج ١ / ٣٢٩؛ سير أعلام النبلاء ج ٣ / ٣٥٨؛ البداية والنهاية، ج ٨ / ٣٠٩؛ والآيات من سورة الفجر ٢٧ - ٣٠.

(٣) أُبَيُّ بن كعب (*)

١. نسبه وكنيته:

"هو ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن مالك بن النجار، ويكنى أبا المنذر، سيد القراء، الأنصاري النجاري المدني المقرئ البصري، ويكنى أيضاً أبا الطفيل" (١). "شهد أُبَيُّ بن كعب العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعاً، وكان أُبَيُّ يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلةً، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله (ﷺ)" (٢).

٢. من روى عنهم:

روى عن النبي (ﷺ)، وقرأ القرآن عليه (ﷺ) (٣).

٣. من روى عنه:

(*) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ٤٩٨ - ٥٠٢؛ التاريخ الكبير للبخاري، ج ٢ / ٣٩ - ٤٠؛ الجرح والتعديل، ج ٢ / ٢٩٠؛ حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١ / ٢٥٠ - ٢٥٦؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٦٥ - ٧٠؛ تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ١٦، ١٧؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٣٨٩ - ٤٠٢؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ١ / ١٢١ - ١٢٢؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح الحنبلي، ج ١ / ٣٢، ٣٣.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ٤٩٨؛ والجرح والتعديل، ج ٢ / ٢٩٠؛ وسير أعلام النبلاء، ج ١ / ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ٤٩٨.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ١٦؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ١ / ١٢١.

"حدث عنه: أنس بن مالك، وابن عباس، وسويد بن غفلة^(١)، وزر بن حبيش، وأبو العالية الرياحي، وعبد الرحمن بن أبي

(١) هو سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر الجعفي الكوفي، أدرك الجاهلية، وقد قيل: إنه صلى مع النبي (ﷺ) ولا يصح حيث قدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفن النبي (ﷺ) وشهد فتح اليرموك، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود قيل عنه: ثقة، زاهد، متواضع، وذكر في الصحابة، وروى له حديث واحد في إسناده ضعف، مات سنة ٨٠ هـ وقيل ٨١ هـ وقيل ٨٢ هـ وقد بلغ ثلاثين ومائة سنة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٢ / ٤٥٩، ٤٦٠.

ليلي^(١)، وسعيد بن المسيب^(٢)، وآخرون^(٣).
هكذا يظهر أنه تتلمذ على يد أبي بن كعب عدد من صحابة رسول الله
(ﷺ) أمثال ابن عباس وأنس بن مالك.

٤. صفاته:

"كان أبي رجلاً دحداً^(*) ليس بالقصير ولا بالطويل .. وروي أيضاً أنه
أبيض الرأس واللحية لا يغير شيبه"^(٤).

٥. قراءته للقرآن:

أخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول
الله (ﷺ) يقول: "اقرأوا القرآن من أربعة نفر، من ابن أم عبد، فبدأ به، ومن

(١) هو الإمام أبو عيسى الأنصاري الكوفي الفقيه، رأى عمر، وروى عن عثمان، وعلي، وابن مسعود، وطائفة. مولده في
أثناء خلافة عمر بالمدينة، وروي أن الحجاج استعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء ثم عزله، ثم ضربه لرفضه
سب علياً (عليه السلام). غرق - رحمه الله - سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١/
٥٨.

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن مخزوم القرشي المخزومي، هو أحد المفتين، قيل عنه: إنه لا أحد أعلم بالحلal
والحرام منه، وهو أفقه التابعين، ومن فضله أنه قال: أنا أصلحت بين علي وعثمان - رضي الله عنهما - ولد
لستين مضتاً من خلافة عمر، وقال الشافعي (عليه السلام): إرسال ابن المسيب عندنا حسن. قيل مات سنة ثلاث
وتسعين، وقيل سنة أربع وتسعين، وقيل مات سنة مائة من الهجرة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٣/
٣٣٥ - ٣٣٧.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٣٩٠؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ١ / ١٢١.

(*) رجل دَحْدَح، ودَخِلِح، ودَحْداح: غليظ البطن، لسان العرب، ج ٢ / ١٣٣٠.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ٤٩٨، ٤٩٩؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١ / ٣٩٠.

أبي بن كعب، ومن سالم^(١) مولى أبي حذيفة^(٢)، ومن معاذ بن جبل^(٣). وقال ابن عباس: قال أبي لعمر بن الخطاب: إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل (عليه السلام) وهو رطب.. وقال ابن عباس: قال عمر: أقضانا علي، وأقرأنا أبي، وإنا لا ندع من قراء أبي، وهو يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله (ﷺ)^(٤). هكذا يشهد رسول الله (ﷺ) لقراءة أبي للقرآن الكريم، كما يشهد له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه تلقاه من رسول الله (ﷺ).

٦. فضله:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) لأبي ابن كعب: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾"^(٥)، قال: وسماي؟ قال: نعم. قال: فبكي^(٦). هذا يدل على فضل

(١) هو سالم بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الأولين، كان يؤم المهاجرين الأولين في مسجد قباء، وكان أكثرهم قرآناً، قتل يوم اليمامة شهيداً سنة اثني عشرة من الهجرة. انظر ترجمته في الإصابة، ج ٤ / ١٠٣ - ١٠٦.

(٢) هو حذيفة بن اليمان، يكنى أبا عبد الله، واسم اليمان: حسيل بن جابر، واليمان لقب. وكان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله (ﷺ) فهو الذي بعثه رسول الله (ﷺ) يوم الخندق ينظر إلى قريش، فجاءه بخبر رحيلهم، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يسأله عن المنافقين، وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله (ﷺ). مات حذيفة سنة ثلاثين بعد قتل عثمان في أول خلافة علي، وقيل: ثُوِّفِي سنة خمس وثلاثين، والأول أصح. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٣٣٤، ٣٣٥.

(٣) صحيح مسلم، ج ١٦ / ١٦.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٣٩١.

(٥) سورة البينة، من الآية رقم ١. وباقي الآية ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

(٦) صحيح مسلم، ج ١٦ / ١٨، ١٩.

أبي بن كعب، فالله (ﷺ) سماه لرسوله الكريم، وأمره أن يقرأ عليه قرآنًا، وأدرج هذا الحديث في معظم كتب تراجم كبار الصحابة وعلماء الحديث (١).

"وكان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله (ﷺ) الوحي قبل زيد بن ثابت، ومعه أيضًا" (٢)، "وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله، وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: أقرأ أمي أبي" (٣)، وروي أن رجلاً طلب حاجة إلى عمر وإلى جنبه رجل أبيض الثياب والشعر، فقال: إن الدنيا فيها بلاغنا، وزادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي تُجزى بها في الآخرة: فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب (٤).

هكذا يظهر لنا أن أبي بن كعب أحد قراء القرآن الكريم، كما أنه من كتبة الوحي؛ حيث كتب الوحي لرسول الله (ﷺ) قبل زيد بن ثابت، ولذلك أجله صحابة رسول الله (ﷺ)، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول: [سيد المسلمين].

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣ / ٤٩٩، ٥٠٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٦٧؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٠ / ٣٩١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٦٨.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٦٦؛ وسير أعلام النبلاء ج ١ / ٣٩١، ٣٩٢؛ والحديث أخرجه الترمذي (تحقيق د/ بشار عواد معروف) في المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ج ٦ / ١٢٨، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٣٩٢.

٦. تفسيره وأقواله:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه في باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي من حديث أبي ابن كعب، قال: قال رسول الله (ﷺ): يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١) قال: فضرب في صدري، وقال: والله لَيَهْنَكَ العلم أبا المنذر^(٢). هكذا يظهر أن رسول الله (ﷺ) يجيز تفسير أبي للقرآن ويستحسنه.

وروي عنه أنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن (ﻋَﻠَﻴْﻜُﻢْ) ففاضت عينه من خشية الله (ﻋَﻠَﻴْﻜُﻢْ) فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله (ﻋَﻠَﻴْﻜُﻢْ) إلا كان مثله كمثل شجرة ييس ورقها، فيضاهي كذلك إذا أصابتها بريح فتحاتت عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل الله وسنته خير من اجتهد في خلاف سبيل الله وسنته،

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٥٥.

(٢) صحيح مسلم، ج ٦ / ٤٢٤، وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١ / ٢٥٠؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ١ / ٦٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ١ / ٣٩٠، ٣٩١؛ وكلمة ليهنك: هي تهنة في لغة العرب، انظر لسان العرب، ج ٦ / ٤٧٠٧.

فانظروا أعمالكم، فإن كانت اجتهدًا أو اقتصادًا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم" (١).

وروي عنه في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ (٢)، "قال: هن أربع، وكلهن عذاب، وكلهن واقع لا محالة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعًا، وذاق بعضهم بأس بعض، وبقي ثنتان واقعتان لا محالة: الخسف والرجم" (٣). وروي أنه قال رجل لأبي بن كعب: أوصني، قال: اتخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيًا وحكمًا، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع، مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم" (٤).

وروي أنه جاء رجل إليه فقال: يا أبا المنذر، آية في كتاب الله قد غممتني. قال: أي آية؟ قال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (٥) قال: ذاك العبد المؤمن، ما أصابته من نكبة مصيبة، فيصبر، فيلقى الله تعالى، فلا ذنب له (٦). ويظهر من

(١) حلية الأولياء، ج ١ / ٢٥٣.

(٢) سورة الأنعام، من الآية ٦٥.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١ / ٢٥٣، وسير أعلام النبلاء، ج ١ / ٣٩٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٣٩٢، ٣٩٣.

(٥) سورة النساء، من الآية ١٢٣.

(٦) حلية الأولياء، ج ١ / ٢٥٤.

أقوال أبي أنه متمسك بكتاب الله، عالم به، زاهد في الدنيا، مطيع لله ورسوله (ﷺ).

٧. وفاته:

روي عن عتي السعدي ^(١) قال: قدمت المدينة في يوم ريح وغبرة، وإذا الناس يموج بعضهم في بعض، قلت: مالي أرى الناس يموج بعضهم في بعض؟ فقالوا: أما أنت من أهل هذا البلد؟ قلت: لا، قالوا: مات اليوم سيد المسلمين أبي بن كعب ^(٢). "روي أنه مات في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ) سنة ثنتين وعشرين بالمدينة، وروي أنه مات في خلافة عثمان ابن عفان (ﷺ) سنة ثلاثين، والقول الثاني أثبت؛ لأنه روي أن عثمان بن عفان أمره بجمع القرآن" ^(٣).

هكذا، يظهر أن هناك تاريخين لوفاة أبي بن كعب، أحدهما سنة ثنتين وعشرين والآخر سنة ثلاثين، وصاحب الطبقات يرجح التاريخ الثاني؛ استدلالاً بأن عثمان بن عفان (ﷺ) أمره أن يجمع القرآن في خلافته، فيكون بذلك قد تُوِّفِيَ في خلافة عثمان بن عفان.

^(١) هو عتي بن ضمرة التيمي السعدي البصري، روى عن أبي بن كعب، وابن مسعود، وروى عنه الحسن البصري، قيل عنه: ثقة، قليل الحديث، روى عنه الحسن ستة أحاديث، ولم يرو عنه غيره، وذكر في كتاب الثقات، وقيل عنه

بصري ثقة، مات سنة ٤٧ هـ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٤/ ٦٨، ٦٩.

^(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣/ ٥٠١؛ وسير أعلام النبلاء، ج ١/ ٣٩٧، ٣٩٨.

^(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٣/ ٥٠٢؛ وسير أعلام النبلاء، ج ١/ ٤٠٠.

(٤) زيد بن ثابت (*)

١. نسبه وكنيته:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري، وأمه النّوّار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار يكنى أبا سعيد، وقيل يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل يكنى أبا خارجة بابنه خارجة (١)، ويقال: أنه كان في حين قدوم رسول الله (ﷺ) المدينة ابن إحدى عشرة سنة (٢).

٢. من روى عنهم:

(*) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٥٨ - ٣٦٢؛ المعجم الكبير للطبراني، ج ٥ / ١٠٦: ١٠٩، وتاريخ الثقات للعجلي، ص ١٧٠؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي يوسف بن عبد البر، ج ٢ / ٥٣٧ - ٥٤٠؛ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٢٤ - ٣٢؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٢٦ - ٤٤١؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٢ / ٢٣٣؛ وطبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي، ص ٨، ٩؛ وموسوعة فقه زيد بن ثابت وأبي هريرة، د/ محمد رواس قلعجي، ص ٦ - ٤٠.

(١) هو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، وأبو زيد من بني النجار: أحد الفقهاء السبعة في المدينة، تابعي أدرك زمان عثمان، كان من غُباد المدينة ممن تفقه، ثم انفرد وآثر العزلة، تُؤفّي سنة ٩٩ هـ. انظر ترجمته في: حلية الأولياء، ج ٢ / ١٨٩، ١٩٠؛ الأعلام للزركلي، ج ٢ / ٢٩٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف عبد الله، ج ٢ / ٥٣٧؛ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٢٤، ٢٥؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٢٦.

"روى عن النبي (ﷺ)، وعن أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب" (١)، وهذا يدل على أنه تتلمذ على يد رسول الله (ﷺ)، وكبار الصحابة، رضوان الله عليهم.

٣. من روا عنه:

روى عنه أنس بن مالك، وثابت بن الحجاج (٢)، وابنه خارجة بن زيد بن ثابت، وسعد بن مالك أبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب، وطاووس بن كيسان، وعروة بن الزبير، وعطاء ابن يسار، وأبو هريرة، وآخرون (٣).

٤. غزواته:

استصغر رسول الله (ﷺ) يوم بدر جماعةً، فردّهم، منهم زيد بن ثابت، فلم يشهد بدراً، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقيل إن أول مشاهدته الخندق، قيل: وكان ينقل التراب يومئذ مع المسلمين (٤)، وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك (٥).

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٢٥؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ٢ / ٢٣٣.

(٢) هو ثابت بن الحجاج الكلابي الخزري، روى عن زيد بن ثابت وأبي هريرة، كان ثقةً، وذكر في الثقات في أتباع التابعين. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ١ / ٣٢٨، ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٢٥، ٢٦؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٢ / ٤٢٧؛ وتهذيب التهذيب، ج ٢ / ٢٣٣.

(٤) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢ / ٥٣٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٣٠؛ وفي تهذيب الكمال: وأول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله، الخندق، وهو ابن خمس عشرة سنة

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٢ / ٤٢٧.

٥. علمه:

كان زيد بن ثابت واسع العلم، فقرأ القرآن وحفظه، وتعلم الفقه وعلم الفرائض، وحفظ الحديث الشريف، فكان صاحب فتوى ولا شك في فتواه. كما أنه تعلم اللغات الأجنبية. أما عن قراءته للقرآن فقد أمره أبو بكر الصديق بجمع القرآن في الصحف: فكتبه فيها، فلما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان، واتفق رأيهم ورأي الصحابة على أن دُونَ القرآن الكريم على حرف واحد، وقع اختياره على حرف زيد، فأمره أن يملئ المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس.. وكانوا يقولون: (أي الصحابة على عهد زيد) غلب زيد بن ثابت الناس على اثنين: القرآن والفرائض^(١).

وأما عن علمه بالفرائض والحديث وفتواه؛ فقد جاء في الطبقات الكبرى: "ما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحدًا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة"^(٢)، وجاء أيضًا: "خطب عمر بن الخطاب بالجالية فقال: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد ابن ثابت"^(٣). "وقال الشعبي عن مسروق: كان أصحاب الفتوى من أصحاب النبي (ﷺ) عمر، وعلي،

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢ / ٥٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٥٩؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٣٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٥٩.

وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري" (١). وجاء في الطبقات عن فتواه: "كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت، فقلت: مات عالم الناس اليوم. فقال ابن عمر: يرحمه الله، فقد كان عالم الناس في خلافة عمر، وحبرها: فرقهم عمر في البلدان، ونهاهم أن يفتوا برأيهم، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهلها" (٢).

إن زيدا هو الذي اتفق الصحابة على قراءته، ودون المصحف على حرفه، وهذا يدل على صحة قراءته، كذلك هو من علماء الفرائض والحديث، وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون في المدينة بأمر عمر (رضي الله عنه).

"أما عن علمه باللغات الأجنبية؛ فقد كان زيد بن ثابت (رضي الله عنه) يحسن لغتين على الأقل - إلى جانب لغته العربية - أما اللغة الأولى فهي السريانية، وهي اللغة التي يتحدث بها اليهود آنذاك، وأما اللغة الثانية فهي اللغة الفارسية" (٣). ولقد أدرج هذا النص د. محمد رؤاس قلعجي في موسوعة فقه زيد بن ثابت وأبي هريرة، وما أدرج في كتب تراجم علماء الصحابة يدل على صحة ذلك؛ فقد جاء في الطبقات الكبرى عن زيد بن ثابت قال: "قال لي رسول

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٣٠؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٣٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦١؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٣٤.

(٣) موسوعة فقه زيد بن ثابت وأبي هريرة، د/ محمد رؤاس قلعجي ص/ ١٢، ١٣، دار النفائس، ط ١، ١٤١٣ هـ /

الله (ﷺ): إنه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد، فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية؟ فقلت: نعم. قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة" (١). وهذا دليل على أنه تعلم لغة اليهود لحاجة رسول الله (ﷺ) لمترجم كتب اليهود.

وجاء في تاريخ الثقات: "وأمره النبي (ﷺ) أن يتعلم خط اليهود، فجود الكتابة، وكتب الوحي، وحفظ القرآن" (٢)، كذلك كان يعلم اللغة الفارسية كما قدم د. محمد رواس قلعجي، وهو في عمومة علمه يعد من كبار علماء الصحابة؛ فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير قال: "كان العلماء بعد معاذ بن جبل، عبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وعبد الله بن سلام (٣)، وكان العلماء بعد هؤلاء زيد بن ثابت (٤).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٥٨؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٢٩؛ والحديث أخرجه أحمد في مسنده، ج ٥ / ١٨٢.

(٢) تاريخ الثقات للإمام العجلي، ص ١٧٠ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ م، ص ١٧٠؛ وطبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي، ص ٨ الناشر مكتبة وهبة.

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف حليف بني عوف بن الخزرج، أسلم عند قدوم النبي (ﷺ) المدينة، قيل: كان اسمه الحصين، فسماه النبي (ﷺ) عبد الله، وشهد له بالجنة، روى عن النبي (ﷺ)، وروى عنه أبو هريرة، وعطاء بن يسار، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس، مات سنة ثلاث وأربعين، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٣ / ١٦٣.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ج ٥ / ١٠٨، إحياء التراث الإسلامي للجمهورية العراقية.

٦. وفاته:

"قال ابن عباس: لما دفن زيد بن ثابت: هكذا يذهب العلم!، وأشار بيده إلى مقبرة، يموت الرجل الذي يعلم الشيء لا يعلمه غيره فيذهب ما كان معه"^(١). "اختلف في وقت وفاة زيد بن ثابت، ف قيل: مات سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة اثنين، وقيل سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن ست وخمسين: وقيل ابن أربع وخمسين، وقيل: بل تُؤيَّ سنة إحدى أو اثنين وخمسين، وقيل: سنة خمسين، وقيل سنة خمس وخمسين"^(٢). "ومن الناس من يقول: مات سنة ثمان وأربعين، وسنة سبع وخمسين"^(٣). يظهر من ذلك أن وقت وفاة زيد بن ثابت لم يتفق أحد على تحديده، وكل ما قيل إنما هو أقوال تقريبية عنها.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٦١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢ / ٥٤٠؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٤٤١.

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٠ / ٣١.

(٥) أبو موسى الأشعري (*)

١. نسبه:

هو عبد الله بن قيس بن سلم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله (ﷺ) أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ (١).

٢. من روى عنهم:

روى عن النبي (ﷺ)، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن عباس، وأبي بن كعب، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل (ﷺ) " (٢).

٣. من روى عنه:

حدث عنه: أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وزيد بن وهب (٣)، ومرة الطيب، وخلق سواهم (١).

(*) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٤٤، ٣٤٥؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥ / ١٩٤ - ١٩٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٨٠ - ٤٠٢؛ وتهذيب التهذيب، ج ٣ / ٢٣٤، ٢٣٥؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي، ص ٧.

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٨٠، ٣٨١؛ وتهذيب التهذيب، ج ٣ / ٢٣٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٣ / ٢٣٤.

(٣) هو زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي، رحل إلى النبي (ﷺ) فقبض وهو في الطريق. روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم. وعنه أبو إسحاق السبيعي، ومنصور بن المعتمر، وحسين وغيرهم. كوفي، ثقة، كثير

٤ . فضله:

أخرج الإمام مسلم "قال النبي (ﷺ): اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً" ^(٢). استعمله النبي (ﷺ) على بعض اليمن، وزيد، وعدن، واستعمله عمر على البصرة، ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين ^(٣). وهذا يدل على أنه رجل سياسة بجانب أنه رجل علم؛ لأنه تولى مناصب سياسية كثيرة في عصر رسول الله (ﷺ) وصحابته من الخلفاء الراشدين. ومن فضله أن قيل عنه: "قضاة الأمة أربعة: عمر، وعلي، وأبو موسى، وزيد بن ثابت" ^(٤). وروي عن قتادة: "أن أبا موسى قال: لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبين له الحق، كما يتبين الليل من النهار، فبلغ ذلك عمر، فقال: صدق أبو موسى" ^(٥).

الحديث، دخل الشام وروايته عن أبي ذر صحيحة. تُؤي في ولاية الحجاج، وقيل مات سنة ست وتسعين. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٢ / ٢٤٩.

(١) انظر سير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٨١، وتهذيب التهذيب، ج ٣ / ٢٣٤.

(٢) صحيح مسلم، ج ١٦ / ٤٨، ٤٩.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥ / ١٩٥؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٨١، ٣٨٢؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي،

ص ٧

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥ / ١٩٦.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٤٥.

وروي عن أبي موسى أنه قال: "غزونا في البحر، فسرنا، حتى إذا كنا في لجة (*) البحر، سمعنا منادياً يقول: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم، فقمتم، فنظرت يمينا وشمالاً، فلم أر شيئاً، حتى نادى سبع مرات فقلت: ألا ترى في أي مكان نحن، إنا لا نستطيع أن نقف، فقال: ألا أخبرك بقضاء قضى الله على نفسه: إنه من عطش نفسه لله في يوم حار، كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة، قال: وكان أبو موسى لا تكاد تلقاه في يوم حار إلا صائماً" (١). "وقد كان أبو موسى صوماً قواماً ربانياً زاهداً عابداً ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة، ولا اغتر بالدنيا" (٢). وهذا يدل على فضله وورعه وتقواه؛ لأنه كان كثير الصيام في الأيام الحارة.

٥. صفاته:

كان صوته حسناً في قراءة القرآن، فقال أبو عثمان النهدي، ما سمعت صوتَ صنج ولا بربط (٣) ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن، وكان عمر إذا رآه قال: ذكّرنا ربنا يا أبا موسى، وفي رواية: شوّقنا إلى ربنا، فيقرأ عنده، وكان خفيف الجسم قصيراً ثظاً (٤).

(*) لج البحر: عرضه، ولج البحر: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. لسان العرب، ج ٥ / ٣٩٩٩.

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٩٦.

(٣) بربط: العود، وهو الآلة الموسيقية المعروفة الآن.

(٤) ثظ: خفيف اللحية. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥ / ١٩٥، ١٩٦؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٢٨٣، وفي

السير: "كان الأشعري قصيراً، ثظ، خفيف الجسم".

٦. علمه:

روى عن أنس قال: بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: أما إنه كيّس، ولا تسمعها إياه ^(١). وروى عن الأسود بن يزيد ^(٢)، قال: لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى". وروى أنه "اجتهد الأشعري قبل موته اجتهدًا شديدًا، فقليل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك، قال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك" ^(٣). وهذا يدل على أن أبا موسى الأشعري على قدر كبير من العلم، ولذلك عده العلماء من المفسرين الذين كثر تفسيرهم.

٧. وفاته:

قيل: إن أبا موسى مات سنة اثنين، وقيل أربع وأربعين، وهو ابن نيف وستين، وقيل: عاش ثلاثًا وستين. وقيل: مات سنة خمسين، واختلفوا: هل مات بالكوفة أو بمكة ^(٤).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ / ٣٤٥؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٩٠.

(٢) سوف تأتي الترجمة له في باب دراسة أسانيد تفسير الإمام مسروق.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٢ / ٣٩٣.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣ / ١٩٦.

(٦) عبد الله بن الزبير (*)

١. نسبه وكنيته ومولده:

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، يكنى أبا بكر، وقال بعضهم فيه أبو بكر.. وله كنية أخرى أبو حبيب أحد الأعلام، ولد الحواري الإمام أبي عبد الله ابن عمه رسول الله (ﷺ) وحواريه (١). هاجرت أمه أسماء بنت أبي بكر من مكة، وهي حامل بابنها عبد الله بن الزبير، فولدته في سنة اثنتين من الهجرة بعشرين شهراً من التاريخ، وقيل: إنه ولد في السنة الأولى، وهو أول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة (٢).

٢. من روى عنه:

(*) انظر ترجمته في: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوكة)، ج ٦ / ١٨٧ - ١٩٤؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢ / ٣٤٢؛ حلية الأولياء ج ١ / ٣٢٩ - ٣٣٧؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ج ٣ / ٩٠٥ - ٩١٠؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤ / ١٢١ - ١٢٨؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٤ / ٥٠٨ - ٥١١؛ وفيات الأعيان، ج ٣ / ٧١ - ٧٥؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٦٣ - ٣٨٠.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٠٥؛ وفيات الأعيان، ج ٣ / ٧١؛ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٤ / ٥٠٨، ٥٠٩؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٦٣. ولد الحواري أي: أبوه وأمه وأقاربه من حواري رسول الله (ﷺ)، أي ممن عاش مع النبي (ﷺ) والتف حوله.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٠٥؛ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٤ / ٥٠٩؛ وسير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٣٦٣.

روى عن النبي (ﷺ) وعن أبيه الزبير بن العوام (١)، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وجده أبي بكر الصديق، وخالته أم المؤمنين عائشة، وله صحبة ورواية أحاديث، عداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيراً في العلم والشرف (٢). هؤلاء الأساتذة العظام الذين روى عنهم عبد الله بن الزبير إنما هم أهل العلم، فما أعظم النبي (ﷺ) وخلفاءه الراشدين، وصحابته المهديين، ومن ثمَّ تدل عظمتهم على قدر عبد الله بن الزبير العلمي.

٣. من رروا عنه:

"حدث عنه أخوه عروة الفقيه (٣) وطاووس، وعطاء، وابن أبي مليكة، وعمر بن دينار (٤)، وأبو إسحاق السبيعي (١).

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن قصي بن كلاب الأسدي، أبو عبد الله، حواري رسول الله (ﷺ)، شهد بدرًا وما بعدها، وهاجر المهجرتين، وهو أول من سل سيفًا في سبيل الله. روى عن النبي (ﷺ)، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها مع رسول الله (ﷺ). عذبه عمه حتى يرجع عن الإسلام، فكان يقول: لا أكفر أبدًا، كان طويلًا أبيض، ومناقبه كثيرة. قتل وهو ابن سبع أو ست وستين سنة، وكان قتله يوم الجمل في جمادى الأولى سنة ٣٦ من الهجرة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٢ / ١٨٨، ١٨٩.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج يوسف المزني، ج ٤ / ٥٠٩؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٦٤.

(٣) هو الإمام عالم المدينة أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني، روى عن زيد بن ثابت وعائشة، وأبي هريرة - رضي الله عنهم - وتفقه بخالته عائشة، وكان عالمًا بالسيرة، حافظًا ثبًا، كان يتألف الناس على حديثه، قال ابنه هشام بن عروة: ما حفظت من أبي جزءًا من ألف جزء من حديثه، وقال: كان أبي يصوم الدهر، ومات صائمًا.. ولد في خلافة عثمان، ومات سنة أربع وتسعين - رحمه الله. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١ / ٦٢، ٦٣.

(٤) هو عمرو بن دينار الحافظ الإمام عالم الحرم أبو محمد الجمحي مولاهم الأثرم، ولد سنة ست وأربعين أو نحوها، وسمع ابن عباس، وابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعدة. قال شعبة: ما رأيت أحدًا أثبت في الحديث من عمرو. وذكره ابن عيينه فقال: ثقة، ثقة. كان قد جرَّء الليل، فثلثًا ينام، وثلثًا يدرس حديثه، وثلثًا يصلي، عاش =

٤ . صفاته:

"كان شهماً ذكراً شرساً ذا أنفة، وكانت له لسانة وفصاحة، وكان أطلس^(١)، لا لحية له، ولا شعر في وجهه.. كثير الصلاة، كثير الصيام، شديد البأس، كريم الجدات والأمهات والخالات إلا أنه كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة، لأنه كان بخيلاً ضيق العطاء، سيئ الخلق حسوداً، كثير الخلاف"^(٢).
هذا عن صفاته، فهو شهم يحمل صفات الرجولة، شرس في المعاملة، معتز بنفسه، فصيح اللسان أسود الوجه، ليس له لحية ولا شعر في وجهه، ورغم أن أمه أسماء بنت أبي بكر وجده أبو بكر الصديق وخالته عائشة زوج النبي (ﷺ) إلا أنه كان بخيلاً، ضيق العطاء، حسوداً كثير الخلاف.

ثمانين سنة، تُوفِّي في أول سنة ست وعشرين ومائة. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج ١١٣ / ١،

١١٤.

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج ١٤ / ٥٠٩، ٥١٠؛ وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٦٤.

(٢) أطلس: أسود كالخبثي.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٠٦.

٥. فضله:

"بنى ابن الزبير الكعبة، وأدخل فيها الحجر، وجعل لها بابين مع الأرض، يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر" ^(١)، "قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): ما زال الزبير يعد منا - أهل البيت - حتى نشأ عبد الله، بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة سنة أربع وستين" ^(٢)، "وهو قارئ لكتاب الله، عفيف في الإسلام" ^(٣)، أبوه الزبير، وأمّه أسماء، وجده أبو بكر، وعمته خديجة، وخالته عائشة" ^(٤). إن من فضل عبد الله بن الزبير بناءه للكعبة، كذلك نشأته بين أهل بيت النبي (ﷺ). ومن فضله شرف نسبه، فأمه أسماء، وجده أبو بكر، وعمته خديجة، وخالته عائشة.

٦. علمه:

مسنده نحو من ثلاثة وثلاثين حديثًا، اتفق له على حديث واحد، وانفرد البخاري بستة أحاديث، ومسلم بحديثين ^(٥). "وقيل رُكع ابن الزبير يومًا ركعةً، فقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه" ^(٦).

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، ج ٣/ ٧١، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣/ ٩٠٦.

(٣) يجوز أن يكون عفيف من ناحية النظر إلى النساء، أما وصفه بالحسد فهكذا جاء في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣/ ٣٦٧.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣/ ٣٦٣.

٧. مقتل عبد الله بن الزبير بن العوام:

كانت الحرب بين الزبير والحجاج ^(٢) ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة.. حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين، وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة ^(٣). وقد تفرق عنه أصحابه، وخذله من كان معه خذلاً شديداً، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو عشرة آلاف، فدخل على أمه أسماء - حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم - ودار بينه وبين أمه حديث طويل ملخصه أن قالت له أمه ألا يستسلم، وألا يطلب عرض الدنيا، فإنه إن رضي عن الحجاج وآل معاوية ورضي بالعطية أهلك من كان معه هباءً، وسلم رقبته لغلمان أمية يلعبون بها حيث شاءوا، فقبل رأس أمه وحياها على رأيها، وأكد لها أنه رأيته ثم خرج إلى

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣ / ٣٦٩.

(٢) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد قائد داهية سفاك خطيب، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام، فلحق بنائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير فقتل عبد الله، وفرق جموعه، فولاه عبد الله مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق ثبتت له الإمارة عشرين سنة، وكان سفاكاً سفاكاً باتفاق معظم المؤرخين، فقد قيل: ما رؤي مثل الحجاج لمن أطاعه، ولا مثله لمن عصاه، مات بواسط، أجري على قبره الماء، وكتب في سيرته سيف بني مروان، تُؤي سنة ٩٥ هـ. انظر ترجمته في: كتاب الأعلام للزركلي، ج ٢ / ١٦٨.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٦ / ١٨٧؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ / ٩٠٧؛ ووفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٣ / ٧٤.

القتال بعد ذلك، فلم يمكث بعد هذا الحوار إلا عشرًا ويقال خمسة أيام^(١)،
"ثمَّ حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون^(*) فرُمي بآجرة فأصابته في وجهه فأرعرش
لها، ودمي وجهه"^(٢).

(١) انظر تاريخ الطبري، ج ٦ / ١٨٨، ١٨٩؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤ / ١٢٤.

(*) موضع بمكة ناحية الكعبة، انظر لسان العرب، ج ٢ / ٧٩١، ٧٩٢.

(٢) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج ٦ / ١٩٢؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٤ / ١٢٦.

المبحث الرابع: المفسرون من التابعين ومدارس التفسير في عصرهم:

لقد تحدثت في النقطة السابقة عن المفسرين من الصحابة وإن طال الحديث بعض الشيء فذلك لجلالة الصحابة، وعلو شأنهم، ولكن إذا ما ترجمت لكل المفسرين من التابعين في هذه النقطة، فسوف يطول الحديث، ويصبح مملاً ويخرجنا من الموضوع نفسه، فلذلك أردت أن أعرض للمفسرين من التابعين عرضاً سريعاً وأذكر مدارس التفسير في عصرهم.

بدأت دائرة العلم تتسع في عصر المفسرين، وبدأ المفسرون يكثر حيث تتلمذ على يد الصحابة عدد ليس بالقليل ممن تبعهم، فأصبحوا بعد ذلك مفسرين لكتاب الله (ﷻ)، وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله، اشتهر أيضاً بالتفسير أعلام من التابعين، تكلموا في التفسير، ووضحوا لمعاصريهم خفي معانيه. وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما روه عن الصحابة عن رسول الله (ﷺ)، وعلى ما روه عن الصحابة في تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى (١).

"ونستطيع أن نعتبر (٢) التابعين طبقاتٍ ثلاثاً: طبقة أهل مكة، وطبقة أهل المدينة، وطبقة أهل العراق" (٣). وهي مدارس التفسير في عصر التابعين، فقد قامت مدرسة في مكة ومؤسسها ابن عباس، وقامت مدرسة بالمدينة ومؤسسها أبي بن كعب، وقامت مدرسة بالكوفة، ومؤسسها عبد الله بن مسعود.

(١) انظر التفسير والمفسرون، ج ١ / ١٠١.

(٢) هكذا وردت في النص، والأولى "نعد".

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ / ١٩.

مدرسة التفسير في مكة:

"أما طبقة أهل مكة من التابعين؛ فقد كانوا أعلم الناس بالتفسير؛ حيث جاء في مقدمة التفسير: "أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس: كمجاهد، وعطاء بن رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس^(١)".

"وقد قامت مدرسة التفسير بمكة على عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يفسر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه"^(٢).

"أما مجاهد فقد كان أوثق من روى عن ابن عباس، ولذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أقطاب العلم وأئمة الدين، قال النووي^(٣): إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وقال مجاهد: عرضت

(١) هو طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري الجندي مولى بحير بن ريسان من أبناء الفرس. روى عن أبي هريرة، وعائشة، وعبد الله بن عباس. روى عنه عمرو بن دينار، ومجاهد، وليث بن أبي سليم، قيل عنه: كان يعد الحديث حرفاً حرفاً، وقال عنه ابن عباس: أظن طاووس من أهل الجنة. كان من غُباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، وكان قد حج أربعين حجاً، وكان مستجاب الدعوة، مات سنة إحدى، وقيل سنة ست ومائة، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٣ / ٩، ١٠.

(٢) التفسير والمفسرون، ج ١ / ١٠٤.

(٣) هو الإمام الفقيه الحافظ شيخ الإسلام، علم الأولياء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي، ولد في محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، قدم دمشق سنة تسع وأربعين، سمع من الرضي بن البرهان، والنعمان بن أبي اليسر، وصنف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها، منها: "شرح صحيح مسلم"، و"الروضة"، و"رياض

المصحف على ابن عباس ثلاثين مرة^(١). وأما سعيد بن جبير "فهو ثقة إمام حجة على المسلمين، قتل في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن ٤٩ سنة"^(٢). وأما عطاء بن أبي رباح "فهو مفتي أهل مكة ومحدثهم، متفق على توثيقه، حديثه في الكتب الستة، مات سنة ١١٤ هـ، ما خلف بعده مثله"^(٣). "وأما عكرمة مولى ابن عباس؛ فقد قال الشافعي فيه: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمه، وقال عكرمة: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل"^(٤)، ويعلمني القرآن والسنة، وكان يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين (لعله يريد ما بين دفتي المصحف)، وكل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس. وأما طاووس بن كيسان اليماني؛ فقد كان من رجال العلم والعمل، وأدرك من أصحاب النبي (ﷺ) نحو الخمسين، حج بيت الله الحرام أربعين مرة، وكان مجاب الدعوة. قال فيه ابن عباس: إني لأظن طاووسًا من أهل الجنة، رضي الله عنهم أجمعين"^(٥).

مدرسة التفسير بالمدينة:

الصالحين"، و"شرح المذهب"، وغيرها. كان شديد الورع، أمارًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، تهابه الملوك، تُؤتي سنة ست وسبعين وستمائة. انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ للسيوطي، ص ٥١٠.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢/ ٢٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢/ ٢٩٣، وسوف يأتي الحديث عنه في دراسة أسانيد تفسير الإمام مسروق.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٤/ ١٣٠، سبق الحديث عنه في تفسير التابعين، ص ٣٩.

(٤) الكبل: القيد.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢/ ٢٠.

"كان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها ولم يتحولوا عنها كما تحول كثير منهم إلى غيرها من بلاد المسلمين، فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ)، فقامت بالمدينة مدرسة للتفسير، تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة. ونستطيع أن نقول: إن قيام هذه المدرسة كان على أبي بن كعب، الذي يعتبر بحق أشهر من تتلمذ له مفسرو التابعين بالمدينة" (١).

ومن أشهر المفسرين في هذه المدرسة "محمد بن كعب القرظي ت: ١١٧ هـ (٢)، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (٣)" (٤).

مدرسة العراق في التفسير:

قامت مدرسة التفسير بالعراق على عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، وكان هناك غيره من الصحابة أخذ عنهم أهل العراق التفسير، غير أن عبد الله بن مسعود

(١) التفسير والمفسرون، ج ١ / ١١٦.

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، ولد سنة أربعين، روى عن أبي هريرة، زيد بن أرقم، وابن عباس، وأبي بن كعب، كان ثقة، كثير الحديث، ورعاً. مدني، تابعي، ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن، كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، مات سنة عشرين ومائة، وقيل قبل ذلك. انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٧ / ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) هو رفيع بن مهران أبو العالية مولاهم البصري، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي (ﷺ)، روى عن علي وابن مسعود وأبي بن كعب روى عنه داود بن أبي هند وقتادة. قال ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم: ثقة، وقيل عنه: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدي، وقال أبو داود: ذهب علم أبي العالية لم يكن له رواة، مات سنة تسعين، انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج ٢ / ١٦٨، ١٦٩.

(٤) النص القرآني بين فهم العلماء وذوقهم، ص ٣٥.

كان يعد الأستاذ الأول لهذه المدرسة .. ويمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأي، وهذه ظاهرة نجدها بكثرة في وسائل الخلاف، ويقول العلماء: إن ابن مسعود هو الذي وضع الأساس لهذه الطريقة في الاستدلال، ثم توارثها عنه علماء العراق" (١).

ومن مفسري هذه المدرسة "مسروق بن الأجدع - موضوع هذه الرسالة- كان ورعًا زاهدًا، صحب ابن مسعود، ثقة لا يسأل عنه، وكان القاضي شريح يستشيريه في معضلات المسائل. ومنهم قتادة بن دعامة السدوسي هو من رواة ابن مسعود، شهد له ابن سيرين بالضبط والحفظ" (٢).

فمن أشهر مفسري هذه المدرسة: مسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد ومرة الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصري. وهذه المدرسة تعد إحدى مدارس التابعين التي فسرت القرآن بالرأي.

(١) التفسير والمفسرون، ج ١ / ١٢٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ / ٢١، وسوف تأتي ترجمته في الباب الثالث.

المبحث الخامس: أشهر ما دون من كتب التفسير المأثور

"جاء قرن تابعي التابعين، وفيه ألفت تفاسير كثيرة جمعت من أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون^(١) وآخرين، ومن بعدهم ألف ابن جرير الطبري كتابه المشهور، وهو من أجل التفاسير، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه وغيرهم"^(٢).

وأشهر ما ألف في التفسير المأثور ثمانية كتب هي:

١. جامع البيان في تفسير القرآن: لابن جرير الطبري.
 ٢. بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي.
 ٣. الكشف والبيان عن تفسير: لأبي إسحق الثعلبي.
 ٤. معالم التنزيل: لأبي محمد الحسن البغوي.
 ٥. المحرر الوجيز في تفسير القرآن: لابن عطية الأندلسي.
 ٦. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير.
 ٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمن الثعالبي.
 ٨. الدر المنثور في التفسير المأثور: لجلال الدين السيوطي^(٣).
- وسوف أعرف بأهم خمسة كتب منها، وقد سبق الترجمة لمؤلفيها في المقدمة.

(١) سوف تأتي الترجمة لكل هؤلاء الأفاضل في دراسة سند تفسير الإمام مسروق.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢ / ٢٨.

(٣) التفسير والمفسرون، ج ١ / ٢٠١؛ وانظر التفسير والمفسرون، ج ١ / ٢٠١ - ٢٤٥ لزيادة التعرف على هذه الكتب ومؤلفيها.

١- تفسير ابن جرير الطبري، والمسمى (جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠ هـ^(١)).

لقد اعتمدت على هذا التفسير في دراستي هذه، فقد جمعت منه - ومن غيره من كتب التفسير المأثور - تفسير الإمام مسروق، والنسخة التي اعتمدت عليها تقع في ثلاثة عشر جزءًا [مجلدًا] من الحجم الكبير، ولذلك فهذه الدراسة مليئة بالأمثلة والنماذج المأخوذة من هذا التفسير^(٢).

يعتبر تفسير ابن جرير الطبري من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعًا مهمًا من مراجع التفسير العقلي؛ نظرًا لما فيه من الاستنباط، وترجيح الأقوال بعضها على بعض ترجيحًا يعتمد على النظر العقلي.

لقد أثنى الباحثون في الشرق والغرب على هذا التفسير خيرًا، وقد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا بد لطالب التفسير من الرجوع إليه. فقد قال السيوطي: "وكتابه^(٣) من أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط،

(١) لقد سبق الترجمة للإمام محمد بن جرير الطبري في مقدمة الرسالة.

(٢) انظر تفسير الإمام مسروق في نهاية الدراسة.

(٣) أي: كتاب محمد بن جرير الطبري.

فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين"، وقال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري^(١).

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل ابن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ^(٢).

يعد تفسير ابن كثير في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري من ناحية الشهرة مما دَوّن في التفسير المأثور؛ فقد اعتنى ابن كثير فيه بالرواية عن مفسري السلف الصالح، ففسر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار المسندة إلى أصحابها، وقد طبع هذا التفسير في أربعة أجزاء كبار.

فهو يسرد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ويبين ما يحتج به وما لا يحتج به منها، ثم يأتي بعد ذلك بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء السلف^(٣). وإذا رجع القارئ إلى تفسير الإمام مسروق في نهاية هذه الدراسة سوف يجد نماذج كثيرة مأخوذة من تفسير ابن كثير توضح ما سبق ذكره.

(١) انظر التفسير والمفسرون، ج ١/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) لقد سبق الحديث عن الإمام ابن كثير في مقدمة الرسالة.

(٣) انظر التفسير والمفسرون، ج ١/ ٢٣٦، ٢٣٧.

٣- تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ^(١).

ويمتاز هذا التفسير بجمع روايات التفسير بالمأثور، ولكن السيوطي لم يتحرر الصحة فيما جمع في هذا الكتاب، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل، كذلك يمتاز هذا الكتاب بأنه الكتاب الوحيد من كتب التفسير بالمأثور الذي اقتصر على التفسير بالمأثور دون الخلط بينه وبين عمل الرأي من ترجيح قول على قول أو ترجيح رواية على أخرى. والسيوطي لخص هذا الكتاب الذي سماه الدر المنثور في التفسير بالمأثور من كتاب ألفه قبله وسماه ترجمان القرآن. والناظر في كتاب الدر المنثور يجده عبارة عن روايات مروية عن النبي (ﷺ)، وعن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم، نقله السيوطي من صحيح البخاري، وصحيح مسلم وغيرها من كتب السنة، كذلك نقل من ابن جرير الطبري، ومن أتى بعده من كتب التفسير بالمأثور، ويقع ذلك التفسير في ستة مجلدات من الحجم الكبير^(٢)، ولتتعرف على هذه الروايات وطريقة السيوطي في نقلها، فانظر تفسير الإمام مسروق في نهاية الرسالة، فسوف تجد نماذج كثيرة لتفسير الإمام مسروق نقلها السيوطي في كتابه.

(١) لقد سبق الترجمة للإمام السيوطي في مقدمة هذه الرسالة.

(٢) انظر التفسير والمفسرون، ج ١/ ٢٤٣ - ٢٤٥.

٤- تفسير الإمام البغوي^(١)، المسمى معالم التنزيل للإمام الحسين بن

مسعود الفراء البغوي الشافعي، المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

وهذا التفسير عبارة عن كتاب متوسط نقل فيه الإمام البغوي عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلامها، فهو جامع للصحيح من الأقاويل به كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، كذلك به بعض القصص، وبعض الأخبار عن السابقين من السلف الصالح، وهو في خروجه للقارئ جاء بأوضح العبارات، وبأسلوب سهل فصيح؛ فالإمام البغوي يتعرض لتفسير الآية بلفظ سهل موجز، وينقل عن السلف ما جاء في تفسيرها. كذلك ظهر من سمات هذا الكتاب أنه لا يذكر السند الذي جاءت به الرواية عن الصحابة والتابعين إلا في حالات نادرة^(٢)، وقد نقلت من هذا التفسير كل ما رواه عن الإمام مسروق في تفسيره لآيات الكتاب الحكيم، فانظر تفسير الإمام في نهاية الدراسة؛ حتى يتبين لك نماذج ذلك الكتاب في التفسير.

٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد

الحق بن غالب بن عطية المتوفى سنة ٥٤٦ هـ^(٣):

(١) قد سبق الترجمة للإمام البغوي في مقدمة الدراسة.

(٢) انظر التفسير والمفسرون ج ١ / ٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) سبق الترجمة لابن عطية في مقدمة هذه الدراسة.

إن كتاب المحرر الوجيز من الكتب التي لها قيمتها العلمية العالية بين كتب التفسير المأثور؛ فقد جمعه ابن عطية من كتب التفسير المأثور كلها، وتحرى في جمعه صحة ما جمعه، فقد أحسن ابن عطية صنعًا بما فعله في هذا الكتاب حتى شهد له الكتاب بإمامته في العربية، وهو يذكر الآية ثم يفسرها بعبارة عذبة سهلة، كذلك ينقل ما جاء حول الآية من روايات السلف الصالح، وهو في حديثه عن تفسير الآيات ينقل عن ابن جرير الطبري وعن غيره، ويحاول مناقشة ما ينقله من هذه الكتب.

وهو في تفسيره هذا يحاول أن يحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، كذلك كثير التعرض للقراءات القرآنية ^(١)، وقد ظهر ذلك واضحًا فيما نقلته من هذا التفسير حينما جمعت تفسير الإمام مسروق، فارجع إلى تفسير الإمام مسروق في نهاية الدراسة لترى نماذج من تفسير ذلك الكتاب.

(١) انظر التفسير والمفسرون، ج ١ / ٢٣٢، ٢٣٣.

المبحث السادس: استنباط التفسير بالمأثور في تفسير مسروق (أنموذجا) ودراسته وتفصيله

أولاً - ما أخذه مسروق من التفسير بالمأثور:

لقد أخذ مسروق من التفسير بالمأثور كل ألوانه، ففسر بالقرآن، وفسر القرآن بالسنة، وفسر القرآن بأقوال الصحابة، كما سيأتي موضحاً بالأمثلة، كما أنه أخذ من تفسير القرآن بالقرآن صحة آرائه في التفسير وقربها إلى الصواب، فإن تفسير مسروق يمتاز بقربه إلى الصحة، وبعده عن الشطحات والمغالطات، وكذلك تفسير القرآن بالسنة، أما عن تفسير القرآن بأقوال الصحابة فأخذ منه زيادة علمه، وازدياده غزارةً، كما أخذ منه الأدب مع معلمه، وعدم الاعتراض على رأيه؛ فهذا هو يذكر رأياً لعائشة - رضي الله عنها - إحدى أساتذته عن رؤية رسول الله (ﷺ) لربه، فروى عن الشعبي قال: "لقي ابن عباس كعباً بعرفة، فسأله عن شيء فكبر حتى جادبته (١) الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزع من أن نقول: إن محمداً قد رأى ربه مرتين، فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد عليهما السلام، فرأى محمد ربه مرتين، وكلم موسى مرتين، قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري، قلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (٢)، فقالت: أين يذهب بك؟ إنما

(١) جادبته: عابت عليه كثرة تكبيره، فالجادب: العائب، انظر لسان العرب، ج ١ / ٥٥٨.

(٢) سورة النجم، الآية ١٨.

هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (١).

فقد أعظم على الله الفرية لكنه جبريل لم يره في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة عند أجياد له ستمائة جناح قد سد الأفق (٢). فهو قد سمع من ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) رأى ربه مرتين، فيريد أن يتأكد من أستاذه عائشة، فتتفي السيدة عائشة ذلك، فيتقبل ذلك من أستاذه في أدب، ولا يجادل رغم أنه قد يكون رأي أستاذه هو الخطأ.

كذلك أخذ مسروق في التفسير بآراء الصحابة غزارة العلم، فقد روى الكثير عن ابن مسعود وعائشة - رضي الله عنها - كما روى عن أبي بن كعب، وروى عن خباب بن الارت.

(١) سورة لقمان، من الآية ٢٤.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ج ٦ / ١٥٩.

ثانيًا - استنباط التفسير المأثور من تفسير مسروق:

لقد سبق الحديث عن أقسام التفسير بالمأثور، وهي ثلاثة أقسام: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة المحمدية، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين. ولقد تضمن تفسير مسروق بن الأجدع جميع أقسام التفسير المأثور ففسر القرآن بالقرآن، وفسر القرآن بالسنة، وفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وفيما يلي استنباط كل قسم من أقسام التفسير المأثور من تفسير مسروق على حدة.

أولاً- استنباط تفسير القرآن بالقرآن من تفسير مسروق بن الأجدع:

"الناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان يبسط في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى.

وعلى هذا، فمن تفسير القرآن بالقرآن: أن يُشرح ما جاء موجزاً في القرآن بما جاء في موضع آخر مسهباً، وذلك كقصة آدم وإبليس جاءت مختصرة في بعض المواضع وجاءت مسهبةً مطولةً في موضع آخر .. ومن تفسير القرآن بالقرآن أن يحمل المجهل على المبين ليفسر به وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم .. ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل المطلق على المقيّد، والعام على الخاص .. ومن تفسير القرآن بالقرآن: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التي مر بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل بعض القراءات على غيرها .. هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني

القرآن^(١). ولقد ظهر هذا اللون في تفسير مسروق بن الأجدع، ولكنه قليل، فكل الذي ظهر من ذلك في تفسيره ستة آيات فسرهما مستخدمًا القرآن في تفسيرها، وفيما يلي استنباط ثلاث آيات وشرحها وشرح تفسيره لها ودراستها.

(١) انظر التفسير والمفسرون، د/ الذهبي، ج ١ / ٤٠ - ٤٣؛ وقد سبق التمثيل على ذلك في بداية الحديث عن التفسير المأثور، وبالتحديد أثناء الحديث عن تفسير القرآن بالقرآن، ص ٣١ - ٣٣.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١).

قال مسروق: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٢). وقال أيضاً: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٣).

(١) سورة النساء، من الآية ١٢٣.

(٢) أخرج هذا الأثر ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، ج ٤ / ٢٨٧ رقم ١٠٤٩٥ بسنده قال: "حدثنا محمد ابن المنخني قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق. والسيوطي في تفسيره الدر المنثور في التفسير بالماثور ج ٢ / ٣٩٨؛ وابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ج ٢ / ١١٦ قال: ".... فقال ابن عباس والضحاك وأبو صالح ومسروق وقتادة والسدي وغيرهم: الخطاب لأمة محمد (ﷺ)".

(٣) سورة النساء، من الآية ١٢٤.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ٤ / ٢٨٧ رقم ١٠٤٩٦ بسنده قال: "حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سيفان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق. وأخرج الأثر أيضاً السيوطي في تفسيره الدر المنثور، ج ٢ / ٤٠؛ والبعثي في معالم التنزيل، ج ١ / ٤٨٢ قال: "قال مسروق وقتادة والضحاك: أراد ليس بأمانيكم أيها المسلمون ولا أمانى أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى، وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى". ويقول مسروق في أثر آخر بسند ضعيف: "ففلج عليهم المسلمون بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾. والأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج ٤ / ٢٨٧ رقم ١٠٤٩٧ من طريق ابن وكيع، وابن وكيع ساقط الحديث، ولم أذكر هذا الأثر إلا في الهامش لضعفه، وكلمة فلج تعني: ظفر وفاز، فقد جاء في القاموس المحيط: الفلج: الظفر، والفوز كالإفلاج. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي، ج ١ / ٢٠٠٢.

هكذا، يتضح من تفسير مسروق لهذه الآية الكريمة تفسيره القرآن بالقرآن؛ حيث يفسر الآية الكريمة ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ (١) بالآية الكريمة ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٢)، وذلك حينما تنازع أهل الكتاب والمسلمون، أي الفرقتين أفضل من الأخرى؟ فنزلت الآية الكريمة ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فقال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، أي أن أهل الكتاب ساووا أنفسهم بالمسلمين، فإذا بالله (ﷻ) يفض النزاع بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، أي الأفضلية لمن يعمل الصالحات، ويطيع الله (ﷻ) ويؤمن به أي يؤمن بأن الله فرد صمد واحد أحد، لا شريك له ولا ولد، فإذا ما استقر هذا في قلبه، أصبح مؤمناً، واستحق الأفضلية حتى ولو كان من أهل الكتاب؛ لأنه في هذه الحالة يكون مسلماً مؤمناً بالله (ﷻ). وهو في هذه الآية يحمل المحمل على المبين فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ يبين ويوضح ما أجمل في الآية التي تسبقها، وهي قوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾.

(١) سورة النساء، من الآية ١٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٤.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (١).

قال مسروق في تفسير هذه الآية: "أنه كان يحلف اليهودي والنصراني بالله ثم قرأ ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ (٢)، وأنزل الله ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (٣)*، والناظر في هذه الآية يجد أن فيها "أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد (ﷺ)، أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن الذي خصّه بشريعته. يقول تعالى: "احكم يا محمد بين أهل الكتاب والمشركين بما أنزل إليك من كتابي وأحكامي في كل ما احتكموا فيه إليك من الحدود والجروح...، فارجم الزاني المحصن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظلماً، فما أنزلته يقضي على سائر الكتب التي كانت قبله، فلا تتبع أهواء اليهود الذين يقولون في الحدود: بجلد الزاني المحصن دون الرجم، وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله، وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله، فاحذر ما يقوله هؤلاء الملاعين، واتبع ما جاء من الحق وهو كتاب الله الذي أنزله إليك" (٤).

(١) سورة المائدة، من الآية ٤٨.

(٢) سورة المائدة، من الآية ٤٩.

(*) سورة الأنعام، من الآية ١٥١.

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٤ / ٦٠٩؛ حيث قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا هارون، عن عنبسة، عن جابر عن عامر عن مسروق.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٤ / ٦٠٨، ٦٠٩.

هذا عن تفسير الآية الكريمة، وما قاله الإمام مسروق قريب من ذلك، فهو يقول: "إنه كان يحلف اليهودي والنصراني بالله، ثم قرأ ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إِذَا فهو أمر من الله لرسوله الكريم أن يحكم بين اليهود والنصارى فيما بينهم من أمور بما حكم به كتاب الله (وَعَلَيْكُمْ) والإمام مسروق يفسر هذه الآية بالقرآن الكريم، فيقول وأنزل الله ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فمن يؤمن بالله (وَعَلَيْكُمْ) ولا يشرك به، يتبع أوامره، وينته عن نواهيه، ويرض بما قسمه الله له ، ويرض بحكمه، وبما جاء في كتابه. هكذا يفسر الإمام مسروق القرآن بالقرآن، فهو من تفسير المجمل بالمفصل.

الآية الثالثة: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

روى مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "من حدثك أن رسول الله (ﷺ) رأى ربه فقد كذب" ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(٢)، ولكن قد رأى جبريل في صورته مرتين^(٣).

هنا تنفي السيدة عائشة - رضي الله عنها - رؤية رسول الله (ﷺ) لربه، وتستدل على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ بقوله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي أنه ما كان لبشر أيًا كان أن يكلمه الله (ﷻ) إلا عن طريق الوحي، أو محجوبًا عن الله (ﷻ)، أي لا يرى الله (ﷻ) أحد، حتى وإن كان رسولاً نبياً؛ لأن الوحي أو كلام الله من وراء حجاب مما هو ملاصق للأنبياء والرسول. وهذا التفسير وإن كان موقوفًا على السيدة عائشة - رضي الله عنها -

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، من الآية (٥١).

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٥ / ٢٩٥ بسنده حيث قال: "حدثنا هناد قال: حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة. وأخرج الأثر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢ / ١٦١؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، ج ٣ / ٣٩٠، ٣٩١.

لكنه مما أخذه مسروق منها، فرواه لنا؛ لذلك يضم إلى تفسير مسروق وملاحمه.

وقد اختلف المفسرون في رؤية النبي (ﷺ)، فمنهم من يقول: إن رسول الله (ﷺ) رأى ربه، ومن هؤلاء ابن عباس (رضي الله عنه)، وقد جاء عن ذلك في تفسير السيوطي: "لقي ابن عباس كعبًا بعرفه، فسأله عن شيء فكبر حتى جادبتة الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزع أن نقول: "إن محمدًا قد رأى ربه مرتين". فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد عليهما السلام، فرأى محمد ربه مرتين، وكلم موسى مرتين" (١). ومن هنا فسر ابن عباس ومن تابعه على رأيه من المفسرين الإدراك في هذه الآية غير الرؤية، فقال الإدراك معناه الإحاطة، وذكر ذلك ابن جرير، فرواه عن ابن عباس ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ يقول لا يحيط بصر أحد بالملك" (٢)، وكذلك قال قتادة، واحتجوا بالآية الكريمة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٣)، قالوا: "هم ينظرون إلى الله، ولا تحيط أبصارهم به من عظمتة" (٤). والفريق الثاني: وهم الذين يمنعون رؤية رسول الله (ﷺ) لله (ﻋَظِمْ)، ومن هؤلاء عائشة - رضي الله عنها - والسدي ومن تابعهما في هذا الرأي، ومنهم

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطي، ج ٦ / ١٥٩.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ج ٥ / ٢٩٤.

(٣) سورة القيامة، الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٤) تفسير الطبري، ج ٥ / ٢٩٤.

مسروق بن الأجدع، ولذلك فسروا معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قالوا: "لا تراه الأبصار، وهو يرى الأبصار" (١). واستدلوا على رأيهم هذا بالآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ولكن خفي عن مفسرينا الأجلاء أن الإدراك بخلاف الرؤية، فليست الرؤية إلا جزءًا من أجزاء الإدراك؛ حيث يقول تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾ (٢) قال المفسرون في ذلك: "وصف الله تعالى الغرق بأنه أدرك فرعون، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه" (٣)، إذن فقد يحدث إدراك ولا تحدث رؤية، كما غاب عنهم أن رسول الله (ﷺ) بشر ليس ككل البشر، فالرسول (ﷺ) يقول عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع" (٤).

ويقول النووي في شرح هذا الحديث: "وأما قوله (ﷺ) (يوم القيامة) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أن يوم القيامة يظهر سؤدده لكل واحد، ولا يبقى مناع، ولا معاند، ونحوه بخلاف الدنيا، فقد نازعه ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى: ﴿لِمَنْ

(١) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٥ / ٢٩٥.

(٢) سورة يونس، من الآية ٩٠.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٥ / ٢٩٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا (ﷺ) على جميع الخلائق، ج ١٥ / ٤١٣ من حديث أبي هريرة.

الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١﴾. مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك" (٢)، فهذا هو سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة للبشر سيدهم في الدنيا والآخرة. ورسول الله (ﷺ) يحسم القضية حينما سئل عن رؤية ربه فقال: "نور أنى أراه" (٣)، وقال أيضاً صلوات ربي وسلامه عليه: "رأيت نوراً" (٤). وهل الله (ﷻ) ليس بنور، سبحانه وتعالى، جل شأنه، وتقدست أسمائه، وتنزهت آلاؤه، منزّه عن شبيهه، ومنزه عن أي تجسيم، إذن فالله (ﷻ) نور، والرسول (ﷺ) رأى نوراً؛ لذا فرسول الله (ﷺ) رأى نور ربه ليلة الإسراء والمعراج.

ويقول في هذه المسألة الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "قال القاضي عياض - رحمه الله -: اختلف السلف والخلف، هل رأى نبينا (ﷺ) ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة - رضي الله عنها - كما وقع هنا في صحيح مسلم، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة، وهو المشهور عن ابن مسعود، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين، وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه رآه بعينه، ومثله عن أبي ذر وكعب - رضي الله عنهما، والحسن - رحمه الله -

(١) سورة غافر، من الآية ١٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٥ / ٤١٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان من حديث أبي ذر، قال: سألت رسول الله (ﷺ): هل رأيت ربك؟ قال: "نور أنى أراه"، ج ٣ / ٣٩٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله (ﷺ) لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ ج ٣ / ٣٩٣.

وكان يحلف على ذلك، وحكي مثله عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وأحمد بن حنبل، وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري، وجماعة من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا، وقال: ليس عليه دليل واضح، ولكنه جائز، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة، وسؤال موسى إياها دليل على جوازها إذا لا يجهل نبي ما يجوز، أو يمتنع على ربه، وقد اختلفوا في رؤية موسى (ﷺ) ربه، وفي مقتضى الآية ورؤية الجبل، ففي جواب القاضي أبي بكر ما يقتضي أنهما رأياه^(١).

وقال النووي عن رأي ابن عباس وأنس: "وعن عكرمة، سئل ابن عباس - رضي الله عنهما - هل رأى محمد (ﷺ) ربه؟ قال: نعم، وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس (رضي الله عنه) قال: رأى محمد (ﷺ) ربه، والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والرجوع إليه في المعضلات"^(٢).

ولعل سائلاً يسأل: كيف يكون تفسير القرآن بالقرآن فيه خطأ؟ هنا تظهر نقطة مهمة، ليس الخطأ في تفسير القرآن بالقرآن، وإنما الخطأ في حمل التفسير نفسه، فالخطأ في حمل الآية، وحمل التفسير بها على آية أخرى، ليس من الصحيح حملها عليها، إذن فالخطأ في حمل التفسير، وليس في تفسير القرآن بالقرآن.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٣ / ٣٨٦.

(٢) صحيح مسلم، ج ٣ / ٣٨٧.

ورغم ما سبق، إلا أن مسروقاً وما أخذه عن عائشة يعد محاولةً لتفسير القرآن بالقرآن، حتى وإن جانبه الصواب، وتفسير هذه الآية يعد من حمل المجمل على المبين، وتفسير القرآن بالقرآن قليل عند مسروق. هذا عن منهج مسروق في تفسير القرآن بالقرآن.

ثانيًا: استنباط تفسير مسروق بن الأجدع بالسنة المحمدية:

لقد اختلف العلماء في القدر الذي فسرهُ الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فمن العلماء من قال: إن رسول الله (ﷺ) فسرهُ كله، ومن هؤلاء أحمد بن عبد الحليم وأصحابه، ومن العلماء من يقول: فسر بعضه، ومن هؤلاء السيوطي وغيره، وقالوا: إن رسول الله (ﷺ) لم يبين إلا القليل النادر من القرآن الكريم^(١).

"والحقيقة أن رسول الله (ﷺ) لم يفسر لأصحابه ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته، وهو الذي لا يعذر أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة .. وإنما فسر لهم الرسول (ﷺ) بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم ... وفسر لهم أيضًا كثيرًا مما يندرج تحت ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهداهم"^(٢).

ويجب ألا يغيب على الأذهان أن رسول الله (ﷺ) كان في استطاعته أن يفسر القرآن كله، ولكن إذا فسرهُ كله سد الطريق أمام العلماء، فلا كلام بعد كلامه المعصوم (ﷺ) كما أن القرآن لم يأت لعصر واحد (عصر صدر الإسلام)، وإنما نزل القرآن لكل العصور والدهور حتى قيام الساعة، فكان من

(١) مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ت: ٥٤٦ هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي

محمد ج ١/ ٩، ١٠ بتصرف دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) المرجع السابق نفسه، ج ١/ ١١.

اللازم أن يترك رسول الله (ﷺ) بعض آيات القرآن لتفسر فيما بعد. "وقد قال الإمام الشافعي: كل ما حكم به رسول الله (ﷺ) فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (١).

وقد كان بيان رسول الله (ﷺ) وتفسيره لصحابته ولغيرهم من كافة الناس بواسطة أقواله وتقريراته، التي هي محاور سنته، ومنابع بيانه وتأويله لما أراد الله لعباده من عقيدة وعبادة وتشريع، ومن هداية ليدركوا حقيقة أنفسهم والكون والحياة، وليعلموا العلاقة التي ينبغي أن تكون بينهم وبين الله، وبينهم وبين أنفسهم، وبينهم وبين الكون والحياة" (٢). وفيما يلي استنباط الآيات التي فسرهما الإمام مسروق بن الأجدع بأقوال المصطفى (ﷺ).

الآية الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٣).

(١) سورة النساء، من الآية ١٠٥؛ التحرير في علم التفسير للسيوطي ص ٣٢٣، حققه، وقدم له ووضع فهارسه د/ فتحي عبد القادر فريد، دار المنار.

(٢) قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين، إبراهيم بن حسن بن سالم، ج ١ / ١٤٥، ١٤٦، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩، ١٧٠.

يقول مسروق: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: قد سألنا عن ذلك رسول الله (ﷺ) فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ فقالوا: أي شيء نشتهي ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا؟ ففعل ذلك لهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرةً أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجةً تركوا^(١).

هكذا يظهر هذا اللون - تفسير القرآن بالسنة - في تفسير مسروق بن الأجدع، وهو كثير إذا ما قورن بتفسيره القرآن بالقرآن، وإذا ما صحت الأحاديث التي فسر بها الإمام مسروق الآيات التي تعرض لها في القرآن الكريم، فهذا يدل على صحة التفسير، ويدل على قبوله دون اعتراض.

وهنا في هذه الآية يروي عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ﷺ) أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، ويبين خبر رسول الله (ﷺ) حياة الشهداء

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم، ج ١ / ٢٧ بنفس سند الإمام مسلم، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ج ١٣ / ٢٧، ٢٨؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج ٣ / ٥١٣؛ والسيوطي في الدر المنثور، ج ٢ / ١٧٠. وهذا خبر صح عن رسول الله (ﷺ)؛ لأنه روى في صحيح مسلم لذلك فنحن نتقبل هذا التفسير من مسروق بن الأجدع؛ لأنه رواه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (ﷺ)، وأخذه عن رسول الله (ﷺ) ووعاه وحفظه.

بعد استشهادهم؛ حيث يبين لنا رسول الله (ﷺ) كيف يحيى الشهداء عند ربهم، وما جزاؤهم عند الله (ﻋَﻠَﻴْكَ) إثر استشهادهم في سبيله حيث إن أرواحهم وضعها الله في جوف طير خضر، هذه الطيور جعل الله لها قناديل معلقة بالعرش فتسرح الطيور في الجنة حيث شاءت، وتتمتع حيث شاءت، وتأكل من رزق الله في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل مرةً أخرى، فيسألهم الله (ﻋَﻠَﻴْكَ): هل تشتهون شيئاً آخر؟ فيقولون أي شيء نشتهي بعد هذا الذي نحن فيه؟ أي شيء يشتهون بعد ذلك؟ وقد جعل الله لهم ما يشاءون، هذا عن رزق الشهداء وحياتهم في الجنة.

الآية الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾^(١).

قال مسروق في تفسير هذه الآية: قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله (ﷺ) ما أشد هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ فقال رسول الله (ﷺ) المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء^(٢).

إن هذا الخبر الذي استشهد به مسروق في تفسير الآية السابقة، وهو تفسير رسول الله (ﷺ) للآية الكريمة ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾؛ حيث قال رسول الله (ﷺ): "المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء"، أي أن

(١) سورة النساء، من الآية ١٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١ / ٥٥٩؛ وأخرجه ابن كثير بسنده من طريق الفضيل بن عياض عن سليمان ابن مهران عن مسلم بن صبيح عن مسروق؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، ج ٤ / ٢٨٧؛ وأخرجه السيوطي في تفسيره ج ٢ / ٤٠. الخبر أخرجه الترمذي في سننه، ج ٤ / ٢٥؛ والإمام أحمد في مسنده، ج ١ / ٦.

المؤمن يجزى في الدنيا بما يعمل من سوء، فيأخذ جزاءه في الدنيا بما يصيبه من مصائب وأمراض وأحزان، أما غير المؤمن فيأخذ جزاءه في الآخرة، وهو أفضل بيان من رسول الله (ﷺ)، وهذا الخبر مروى عن رسول الله (ﷺ)، فقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وهذا يدل على صحة تفسير الإمام مسروق لهذه الآية الكريمة، فهو يأخذ تفسيره من رسول الله (ﷺ). وهذا التفسير الذي أخذه الإمام مسروق من رسول الله (ﷺ) إنما هو حمل المطلق على المقيد، وهو ما قيده رسول الله (ﷺ) بتفسيره؛ حيث معنى الآية أن جزاء السوء مطلق وغير محدد في الدنيا أم في الآخرة، فكل من يعمل سوءًا يجز به فجاء تفسير رسول الله (ﷺ) فقيد المعنى، فالجزاء لمن يعمل سوءًا من المؤمنين، إنما هو في الدنيا، فالمصائب التي تقع عليه والأحزان التي تلم به والأمراض التي يتلى المؤمن بها هي جزاء عمل السوء. وبذلك يعافى في الآخرة من الجزاء.

الآية الثالثة، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١).

قال مسروق في تفسير هذه الآية: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، أرايت قول
الله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾
أين الناس يومئذ؟ فقالت: سألت رسول الله (ﷺ) عن ذلك، فقال: "على
الصراط" ^(٢).

هكذا ظهر هذا اللون جلياً واضحاً في تفسير هذا التابعي الجليل، وهنا
يفسر هذه الآية الكريمة بقوله (ﷺ) أن الناس يوم القيامة يكونون على الصراط
يوم تبد الأرض غير الأرض والسموات فيكون الجميع محشوراً أمام الصراط؛
حيث يمر الجميع عليه، إما ينجو إلى الجنة أو يسقط في النار، كل حسب
عمله. وقد ثبت صحة هذا الخبر؛ حيث أخرجه مسلم في صحيحه، وهذا
دليل على أن مسروق إنما يفسر القرآن بما صح عن رسول الله (ﷺ)، كما أنه
يستعين بتفسير رسول الله (ﷺ) وبيانه للقرآن الكريم، فيروي عن عائشة زوجة
النبي (ﷺ) مرةً، ويروي عن ابن مسعود أخرى، فهو يأخذ عن أفواه الصحابة

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٨.

(٢) الحديث صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ج ١٧ / ٢٧٩؛ وأخرجه ابن
جرير الطبري في تفسيره، ج ٧ / ٤٨٢ رقم ٢٠٩٦٦ بسنده حيث قال: "حدثني إسحاق بن شاهين قال: ثنا خالد
عن داود عن عامر عن مسروق، وأخرجه ابن كثير، ج ٢ / ٥٤٣ بسنده قال: الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي
عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة.

ما سمعوه من رسول الله (ﷺ). وهذا التفسير الذي فسر به رسول الله (ﷺ) وأخذه منه الإمام مسروق وهو من توضيح ما أشكل في القرآن الكريم.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (١).

قال مسروق: قال عبد الله: خرج رسول الله (ﷺ) ذات يوم فاتبعته، فجلس على نشز من الأرض، وقعدت أسفل منه، ووجهي حيال ركبتيه، فاغتنمت خلوته، وقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، أي الذنوب أكبر؟ قال أن تدعو لله ندًا وهو خلقك. قلت: ثمّ مه؟ قال: أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك. قلت: ثمّ مه؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. ثمّ تلا هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى آخر الآية" (٢).

هنا يلتقط مسروق من عبد الله بن مسعود تفسير الرسول للآية الكريمة أنه من الكبائر أن تدعو لله ندًا، وقد خلقك الله (ﷻ)، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي أن عباد الرحمن هم الذين يبتعدون عن هذه الكبيرة، ومن الكبائر أيضًا أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك،

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٨.

(٢) الحديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه في باب التفسير، ج ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨؛ ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، ج ٢/ ٢٦١. وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ٩/ ٤١٥ رقم ٦٥٠٩ بسنده؛ حيث قال: "حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي، وقال: ثنا عامر بن مدرك، ثنا السري، يعني ابن إسماعيل، قال: ثنا الشعبي عن مسروق، وأخرجه ابن كثير في تفسيره، ج ٣/ ٣٢٦؛ والبغوي في تفسيره معالم التنزيل، ج ٣/ ٣٧٧.

وهو تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وأشد القتل قتل الولد، فهو أكبر من قتل أي شخص غير ولدك، كما بين لنا رسول الله (ﷺ). ومن الكبائر أيضاً أن تزاني حليمة جارك، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾؛ فالزنا في حليمة الجار أكبر من الزنا في غيرها؛ لأنه اعتداء على حرمة الإسلام وحرمة الجيرة، وخير بيان للقرآن ما بينه لنا الرسول الكريم. وهذا التفسير إنما هو تفسير رسول الله (ﷺ) للآية الكريمة، وهو تفسير صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما؛ لذا فالخبر متفق على صحته، فالإمام مسروق حينما يفسر القرآن بالسنة إنما يأخذ التفسير عن رسول الله (ﷺ)، وهذا التفسير إنما هو تفسير المجمع في القرآن، فقد فصل رسول الله (ﷺ) أكبر الكبائر، وأظهر ما خفي من معنى الآية الكريمة، ففصل أكبر ما يكون في القتل وهو قتل الولد، وأكبر ما يكون في الزنا، وهو الزنا في حليمة الجار.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (١).

روى مسروق عن عائشة، قالت: قلت يا رسول الله (ﷺ): ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا

(١) سورة الزلزلة، الآيتان ٧، ٨.

ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين^(١)، وهنا يروي مسروق بن الأجدع الخبر عن عائشة - رضي الله عنها - وهو خبر صح عن رسول الله (ﷺ)، يقرر فيه أنه من لم يؤمن بالله في الجاهلية لن ينفعه عمله^(٢)، وإن كان خيرًا، أما من يؤمن بالله، فذلك هو الذي ينتفع بعمله في الآخرة، وهو يفسر بذلك الخبر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣)، أي أن الكفار لا يجازون أعمالهم الخيرة في الآخرة، وإنما يأخذون الثواب عليها في الدنيا؛ لأن الله ليس بظلام للعبيد، أما المؤمنون فيجازون على أعمالهم الخيرة في الآخرة، ويعاقبون على أعمالهم السيئة في الدنيا؛ فالمصائب، والأحزان، والأمراض جزاء لما يفعل المؤمن من سوء.

وتفسير الرسول (ﷺ) لهذه الآية هو من تفسير المقيّد للمطلق، فالآية مطلقة حيث في معناها الظاهري أن كل من يعمل مثقال ذرة من خير يأخذ ثوابها، وكل من يعمل مثقال ذرة من شر ير عقابها، وهذا صحيح، ولكن

(١) الحديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، ج ٣ / ٤٤٨، وأخرج الخبر ابن جرير الطبري في تفسيره ج ١٢ / ٦٦٢ رقم ٣٧٧٥١ بسنده؛ حيث قال: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة

(٢) الكافر لا ينفعه عمل الخير في الآخرة، سواء كان في الجاهلية أو بعد البعثة، طالما كفر بالله (ﷻ)، ولم يؤمن به، فالتبي (ﷺ) يقول على ابن خديعة: "إنه لم يقل: "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين" وهذا دليل على كفره، فلو آمن بالله لطلب منه المغفرة، ومعنى الحديث أيضًا أن ما كان يفعله الكافر - ابن خديعة - من صلة للرحم، وإطعام للمسكين، ووجوه المكارم الأخرى لا تنفعه في الآخرة؛ لكونه كافرًا، فلم يكن مصدقًا بالبعث، ولو صدق بالبعث لقال: "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين". انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٣ / ٤٤٩.

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان ٧، ٨.

الإطلاق في الموعد الذي يكون فيه الثواب والعقاب، فالآية لم تحدد في الدنيا أم في الآخرة، وكذلك الإطلاق في الخلق جميعاً، فلم تحدد الآية هل كل الخلق؟ أم هي للمؤمن؟ أم هي للمؤمن والكافر؟ فيقيد الرسول (ﷺ) المعنى بأن الكافر لا يأخذ ثواب الخير في الآخرة، وإنما ثوابه يأخذه في الدنيا، وبذلك يكون معنى الآية على تفسير النبي (ﷺ): من يعمل مثقال ذرة خيراً من المؤمنين ير الثواب في الآخرة، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً من الكفار ير الثواب في الدنيا، وكذلك العقاب يراه المؤمن في الدنيا، ويراه الكافر في الآخرة.

سادساً- تفسير سورة النصر: قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ
كَانَ تَوَّابًا﴾ (١).

روي مسروق عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (ﷺ) يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه، قالت: قلت: يا رسول الله، أراك تكثر قول سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه. فقال: خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيته، أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفره وأتوب إليه، فقد رأيته: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢).

وروي عن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك الله وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك. قالت: فقلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك قد أحدثتها تقولها؟ قال: قد جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة (٣).

(١) سورة النصر، الآيات ١-٣.

(٢) أخرج الخبر مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج ٤ / ١٥٠؛ بإسناد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، ج ١٢ / ٧٢٩، ٧٣٠؛ حيث قال: حدثنا ابن المشي قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة.....

(٣) أخرج الخبر مسلم في صحيحه، ج ٤ / ١٤٩، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ١٢ / ٧٣١ رقم ٣٨٢٤٣. بسنده قال: "حدثني أبو السائب، وسعيد بن يحيى الأموي، قالوا: ثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة....

وهكذا، يفسر مسروق بن الأجدع سورة النصر بما جاء عن رسول الله (ﷺ)، وما رواه عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله (ﷺ) بأن نصر الله والفتح هو فتح مكة، وهي علامة إذا ما أجاد الله بها على رسوله الكريم، فليسبح الرسول (ﷺ) الله ويحمده ويستغفره ويتوب إليه، ولذلك كان رسول الله (ﷺ) يؤدي ذلك كله بعد نزول سورة النصر، كما أن سورة النصر حينما نزلت، علم الرسول (ﷺ) أنها إيدان بقرب أجله، فالتزم التسبيح والحمد، والاستغفار، وهو تفسير رسول الله (ﷺ) لما أشكل في القرآن الكريم لصحابته والمسلمين.

هكذا ينتهي التحليل والاستنباط لما فسر مسروق بن الأجدع مستخدمًا سنة الرسول (ﷺ) في تفسيره، وهو ما يندرج تحت تفسير القرآن بالسنة، ويظهر أن مقدار ما فسر مسروق من ذلك النوع يتناسب مع المقدار الذي رواه عن رسول الله (ﷺ)، وهو مقدار ليس بالقليل ولا بالكثير، وهو يزيد على تفسيره القرآن بالقرآن. ويتضح من الدراسة السابقة أن كل الأمثلة هي أخبار صحيحة، صحت روايتها عن رسول الله (ﷺ).

ثالثاً- استنباط تفسير مسروق بن الأجدع بأقوال الصحابة والتابعين:
لقد سبق التقديم لتفسير الصحابة للقرآن، وتفسير التابعين له ، وتم الحديث عن المفسرين من الصحابة، والتفسير في عصر التابعين.
وتفسير الصحابة للقرآن هو المصدر الثالث من مصادر التفسير المأثورة، "وذلك أننا إذ لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى الناس بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبرائهم؛ كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم" (١).

أما عن قيمة التفسير المأثور عن الصحابة؛ "فبعض المحدثين يعطيه حكم المرفوع، ولكن قيد ابن الصلاح والنووي وغيرهما هذا الإطلاق بما يرجع إلى أسباب النزول، وما لا مجال للرأي فيه، أما ما يكون للرأي فيه مجال فله حكم الموقوف" (٢). وما حكم عليه بالوقف، قال بعض العلماء: لا يجب الأخذ به؛ لأنه مجتهد فيه، وقد يصيب، وقد يخطئ. وقال بعضهم: يجب الأخذ به؛ لأنه إما سمعه من الرسول (ﷺ)، وإما فسره برأيه، وهم أدرى الناس بكتاب الله،

(١) مقدمة تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ت:

٣٧٥ هـ تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/ زكريا عبد المجيد النوي ج ١ / ٥٣ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) مقدمة الباب في علوم الكتاب للإمام المفسر أبي حفص عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ج ١ / ٤١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

وهم أهل اللسان، ولما شاهدوه من القرائن والأحوال، ولا سيما ما ورد عن الأئمة الأربعة وابن مسعود، وابن عباس وغيرهم" (١).
والحقيقة أن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم لها مكانتها في التفسير المأثور بلا شك، وإن كانت خاضعة لقانون الصواب والخطأ، ولكن نسبة الخطأ فيها قليلة جداً لا يتعدى بشرية الصحابة، رضوان الله عليهم.

أما عن تفسير التابعي للقرآن الكريم؛ "فقد انتقل تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه من الصحابة إلى التابعين، فأولئك ورثوا العلم والفهم لمن جاء بعدهم، يقول مجاهد (رضي الله عنه): عرضت المصحف على ابن عباس، أوقفه عند كل آية، وأسأله عنها" (٢). لذلك فتفسير التابعين للقرآن الكريم إنما هو مستمد من تفسير الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم صحبوهم وتبعوهم، وأخذوا عنهم.

وفيما يلي استنباط ما جاء في تفسير مسروق بن الأجدع من تفسير الصحابة للقرآن الكريم، يليها استنباط تفسير مسروق بن الأجدع بآراء التابعين.

أولاً - تفسيره بآراء الصحابة:

(١) المصدر السابق نفسه، ج ١ / ٤١، ٤٢.

(٢) تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، ج ١ / ٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

لقد قمت باستقراء تفسير مسروق بآراء الصحابة - رضوان الله عليهم - فكان عداد هذا التفسير سبعة وعشرين آيةً فسرّها مسروق رواية عن الصحابة - رضوان الله عليهم - منها ما جاء بسند صحيح عن مسروق، ومنها ما جاء بسند ضعيف، وهذه الآيات أخذ معظمها من عبد الله بن مسعود، فعبد الله بن مسعود يعد أستاذ مسروق الأول في التفسير - بلا شك - ثم أخذ من عائشة تفسيره بعض الآيات، وروى عن عمر آيةً واحدةً، وعن خباب بن الأرت آيةً أيضاً، وكذلك آية رواها عن أبي بن كعب، وسوف أعرض ست آيات صحيحة السند كما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ ^(١).

قال مسروق: قال عبد الله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ قال: "طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كأنهما بعيران مقرونان" ^(٢).

لقد أخذ مسروق بن الأجدع الكثير من تفسير عبد الله بن مسعود، وهو هنا ينقل لنا تفسير هذه الآية، وهي تتحدث عن قيام الساعة وعلاماتها، وأنه حينما تظهر هذه العلامات لا تقبل التوبة، ولا ينفع إيمان من لم يؤمن من قبل، فيقول ابن مسعود، ويحدد لنا الميعاد الذي لا تقبل فيه التوبة، وهو حينما تخرج الشمس من المغرب مع القمر، فتقترب الشمس مع القمر، ويخرجان كأنهما بعيران مقرونان. وهنا يستمد عبد الله تفسيره من رسول الله (ﷺ)، وهو ما قاله الرسول (ﷺ) عن هذه الآية.

"قال رسول الله (ﷺ) قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ طلوع الشمس من مغربها ^(١)، وهو حديث صحيح، وهذا دليل على

(١) سورة الأنعام، من الآية ١٥٨.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، ج ٥ / ٤٠٩ رقم ١٤٢٣٥ بسند صحيح، قال: حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق...

قوة الحجة بتفسير الصحابة - رضوان الله عليهم - وإن معظم تفاسيرهم مستمدة من أقوال الرسول (ﷺ)، وأولى الأقوال بالصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ﷺ)؛ "ذلك حين تطلع الشمس من مغربها" (٢).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في باب الفتن، ج ٤ / ٤١٦، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٥ / ٤١١.

الآية الثانية، قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

روى مسروق عن عبد الله "جنت عدن"، قال: "بطنان الجنة" (٢). هذا هو رأي ابن مسعود وتفسيره، لقوله تعالى: "جنت عدن"، وهي بطنان الجنة، وكلمة بطنان تعني: وسط، وهي من الفعل بطن، "فبطن الشيء بطوناً، والوادي، والبيت بطناً: توسطه، وجال فيه" (٣). فالفعل بطن يعني توسط، وبطنان الجنة أي وسطها. وهذا توضيح من ابن مسعود لمعنى "جنت عدن" وتقريبها للمسلمين، فهو يفسرها بأنها الجنات التي تتوسط الجنة جميعها، وهذا مروى عن عائشة - رضي الله عنها - حيث قالت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٤). والأثر رواه عنها مسروق أيضاً، فهو ضمن تفسيره - نهر في بطنان الجنة، قال لها مسروق: وما بطنان الجنة؟ قالت: "وسط الجنة" (٥).

(١) سورة التوبة، الآية ٧٢.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج ٦ / ٤١٧ رقم ١٦٩٦٤ بسنده قال: "حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا شعبة عن الأعشى عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله.

(٣) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٥٥.

(٤) سورة الكوثر، الآية ١.

(٥) أخرجه ابن كثير في تفسيره، ج ٤ / ٥٥٧ عن مسروق بلفظ: "قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، حدثيني عن الكوثر، قالت: نهر في بطنان الجنة، قلت، وما بطنان الجنة؟ قالت: وسط الجنة".

هكذا يظهر تفسير الإمام مسروق بآراء الصحابة، وهو متأثر بهم، أخذ عنهم راويًا لما يقولون، والتمسك بتفسير الصحابة طريق إلى الصواب، فهم أقرب لرسول الله (ﷺ) من غيرهم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال: إن معاذًا كان أمة قانتًا لله، قال (٢): فقال رجل من أشجع: نسي، إنما ذاك إبراهيم. قال: فقال عبد الله: من نسي؟ قال: إنما كنا نشبهه بإبراهيم. قال مسروق: وسئل عبد الله عن الأمة، فقال: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله (٣).

وهنا ينقل لنا مسروق بن الأجدع تفسيرًا ذا اتجاه لغوي لعبد الله بن مسعود، فهو يظهر معنى الأمة بأنه من يعلم الخير، كأنه أحيا الأمة فأصبح أمة، ويظهر معنى القانت بأنه المطيع لله ورسوله، وهو إظهار لمعنى الكلمة من خلال تضافرها مع باقي الكلمات في سياق الآية الكريمة.

(١) سورة النحل، الآيتان ١٢٠، ١٢١.

(٢) أي قال مسروق:

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ٧ / ٦٦٠ رقم ٢١٩٧٣ بسنده، قال: "حدثنا محمد بن المثنى قال: ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا شعبة، قال: سمعت فراسًا يحدث عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

روى مسروق عن عائشة قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ (٢) وهذا من تفسير مسروق بآراء عائشة - رضي الله عنها - أم المؤمنين وزوج النبي (ﷺ)، فهو يروي عنها أنه من ادعى أنه يعلم ما سيكون له في غد، وماذا يحدث له في اليوم التالي، أو يكسب في غده، فقد كذب، لأن الله (ﷻ) يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ وقد وافق هذا الرأي أحاديث رسول الله (ﷺ)، فقد أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله (ﷺ)، قال: "مفاتيح الغيب خمسة، ثم قرأ هؤلاء الآيات ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (٣) وهذا الحديث يقف بجوار رأي السيدة عائشة ويثبتته. وهذا إنما يدل على أن تفسير الصحابة إنما هو مستمد من تفسير رسول الله (ﷺ) للقرآن الكريم، فهو تفسير صحيح ومقبول ولا شك فيه.

(١) سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، ج ١٠ / ٢٢٧ رقم ٢٨١٨١.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب التفسير، ج ٣ / ٢٢١.

الآية الخامسة، قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١).

"روى مسروق عن أبي بن كعب، قال: من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها"^(٢).

وهنا نتقل من مدرسة ابن مسعود ومدرسة السيدة عائشة (أستاذي مسروق الرئيسين) إلى الأخذ من أبي بن كعب، ولم يأخذ مسروق من أبي بن كعب، إلا هذا التفسير - تفسير هذه الآية - ويتحدث الصحابي الجليل أبي بن كعب عن الأمانة التي حملها الإنسان، فيقول: إن من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها، وهذا ما يعد من التفسير بالرأي وهو صحيح، ولكني أرى أن كل أعضاء الإنسان وجوارحه أمانة، وأن تصرفاته وأفعاله أمانة، وأن القانون الرباني الذي وضعه الله له تحت بند (افعل ولا تفعل) أمانة، وإن أخل بأحد هذه الأشياء فقد فرط في جزء من الأمانة أو قصر في تأديتها.

ولالإمام الشعراوي رأي في تفسير هذه الآية، يقول في كتابه الفتاوى عن تأدية هذه الأمانة: ولكن الإنسان قدر ساعة التحمل، ولم يقدر نفسه ساعة

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٠ / ٣٤٠ رقم ٢٨٦٩١ بسنده؛ حيث قال: حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن قال: ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق.

الأداء، ولم يقدر أنه سيتعرض لمغريات الحياة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي جهولاً ساعة الأداء، هل سيؤدي أم لا يؤدي، والإنسان ظلوم؛ لأنه حمل نفسه مسألة لا يطيقها إلا بعزم وهو غير مأمون عليها^(١). ورأي الشيخ الجليل يتفق مع رأي ابن عباس، حيث قال: "عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك، وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة" (٢).

والحقيقة أن مسروق حينما يفسر القرآن برأي الصحابي الجليل أبي بن كعب لم يقل: إن الأمانة كلها هي فرج المرأة، وإنما قال: "من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها"، أي هذه إحدى الأمانات التي ائتمن الله عليها خلقه. هذا عن أخذ الإمام مسروق من صحابة رسول الله (ﷺ)، فهم نور العلم الذي أضاء لنا جهالات الماضي والحاضر.

الآية السادسة، قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٣).

(١) الفتاوى للشيخ الجليل محمد متولي الشعراوي كته د/ محمد السيد الجميلي، ص ٩٠، المكتبة التوفيقية.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل القرآن ج ١٠ / ٣٣٩ رقم ٢٨٦٨٤ بسنده؛ حيث

قال: "حدثنا ابن بشار قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة عن أبي بشر، عن سعيد عن ابن عباس.

(٣) سورة مريم، الآيتان ٧٧، ٧٨.

روى مسروق عن خباب قال: كنت قيناً^(*)، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا مت ثم بعثت كما تقول، جئني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله تعالى .. وذكر الآية^(١).

وهنا يأخذ مسروق من خباب بن الأرت التفسير بأسباب النزول؛ حيث يروي لنا سبب نزول الآية السابقة، وأنها نزلت في العاص بن وائل، والذي كان عليه دين لخباب فجاءه يتقاضاه، فقال له: لن أرد لك الدين إلا بعد أن تكفر بمحمد (ﷺ) فقال خباب: لن أكفر بمحمد (ﷺ) حتى تموت ثم تبعث، فإذا بالعاص يستهزئ بخباب قائلاً له: حتى لو مت وبعثت سوف يكون لي مال وولد، وهذا دليل على كفره وغبائه وجهله.

ونكتفي بهذه الآيات استقراء تفسير مسروق بن الأجدع بأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - وباستقراء الآيات السابقة وغيرها من التفسير بآراء الصحابة، يتضح الآتي:

(*) قيناً: حداداً، فالقن: الحداد، وقيل: كل صانع قين. لسان العرب، ج ٥ / ٣٧٩٨.

(١) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ٨ / ٣٧٥ رقم ٢٣٨٩٩ بسنده؛ حيث قال: حدثنا أبو السائب، وسعيد بن يحيى قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب .. وأخرج الأثر البغوي في تفسيره معالم التنزيل ج ٣ / ٢٠٧، ٢٠٨؛ وابن كثير في تفسيره القرآن العظيم ج ٣ / ١٣٥؛ وأخرجه البخاري في صحيحه بأسانيد عدة ج ٣ / ٢٦٢، ٢٦٣؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، ج ٧ / ٢٨٢.

- أكثر من استمد منهم مسروق تفسيره هو عبد الله بن مسعود، ولذلك فهو أستاذ الأول في التفسير بلا شك.
 - يلي ابن مسعود في المرتبة السيدة عائشة - رضي الله عنها - وأرضاهما.
 - استمد مسروق من تفسير الصحابة للقرآن الكريم آراءهم الراجعة التي استمدوها من رسول الله (ﷺ).
 - استمد مسروق من تفسير الصحابة للقرآن الكريم علمه بأسباب النزول.
 - أثرت آراء الصحابة المعرفة بتفسير القرآن الكريم عند مسروق بن الأجدع.
 - أخذ مسروق من الصحابة الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن.
- ومن كل السابق يتضح أن تفسير مسروق بآراء الصحابة كثير، وهو يتعدى تفسيره القرآن بالقرآن، وتفسيره القرآن بالسنة، فتفسيره القرآن بأقوال الصحابة يشمل حيزًا كبيرًا من تفسيره ككل. وقد يكون السبب في ذلك لكون الإمام مسروق أحد كبار التابعين الذين عايشوا الصحابة، وتبعوهم، وتعلموا منهم، فلذلك من الضروري أن يكثر تفسير التابعي بآراء الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم هم أساتذته المباشرين بلا شك.

ثانياً- تفسير مسروق للقرآن بأقوال التابعين:

أما عن تفسيره القرآن بأقوال التابعين، فهذا النوع من التفسير لا يوجد عند مسروق إلا في آية واحدة، وهذا لأنه يعد من كبار التابعين، لذا خلا تفسيره من آراء التابعين إلا آية واحدة؛ لأنه استقى تفسيره من رسول الله (ﷺ) وأصحابه، والآية هي قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١).
روي عن شريح^(٢) في قوله: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال: كان النفس ليلاً، وكان الحرث كرمًا، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقي له أصل أرضه وأصل كرمه، فاجعل له أصولها وألبانها، قال: فهو قول الله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(٣).

وهذا التفسير هو للتابعي الكوفي شريح، وهو تفسير بالرأي، وقد اختلف معه مرة وقتادة في نوع هذا الحرث، فقال: مرة "كان الحرث نبتًا" وقال قتادة: "ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً"^(٤). واتفق مع رأيه في كون الحرث كرمًا، عبد الله بن مسعود حيث قال: "كرم قد أنبت عناقيده"^(٥).
واتفق مع رأي ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومرة في ذلك الحكم الذي حدث من سيدنا داود ومن سيدنا سليمان^(٦)، وقوله تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا

(١) سورة الأنبياء، الآية ٧٨.

(٢) هو شريح بن هانئ بن يزيد الكوفي، أدرك النبي (ﷺ) ولم يره، وروى عن أبيه، وعمر، وعلي، وبلال، وعائشة، وعنه ابنه المقدم، ومحمد، والشعبي، والحكم بن عتبة وغيرهم، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى عن تابعي أهل الكوفة، وقال: كان من أصحاب علي، وشهد معه المشاهد، وكان ثقة وله أحاديث، قتل سنة ثمان وسبعين. انظر ترجمته في:

تهذيب التهذيب، ج ٢/ ٤٩٣..

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، ج ٩/ ٥١ رقم ٢٢٤٧٠٠؛ وابن كثير في تفسيره، ج ٣/ ٨٦.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩/ ٤٩.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩/ ٤٩.

(٦) انظر تفسير ابن جرير الطبري، ج ٩/ ٥٠، ٥٣.

سُلَيْمَانَ ﴿١﴾ أي أن حكم سليمان هو الصحيح. ومسروق هنا يستمد من تفسير التابعي شريح ليثري تفسيره، وإن كنت قد قلت آنفاً أنه لا يوجد إلا هذا الرأي من تفسير التابعين في تفسير مسروق.

وبهذا يكون الحديث انتهى عن التفسير المأثور كله، وهو تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

(١) سورة الأنبياء، من الآية ٧٩.
